السنة الثانية		العدد ١٢		١٥ حزيران سنة ١٨٩٩

المشرق

العلم الحقيقي

لسيادة الحبر الجليل والعلّامة الفضال المطران جرمانوس معقّد مطران اللاذقية

كلّ ما يرشد المرء الى الامور العمليَّة بقوانين ورسوم موضوعة هو صناعةٌ. وما يقوده الى الحقائق بالمبادئ العقليَّة والنتائج المتخلّصة منها هو علمٌ. فالصرف والنحو والبيان واللغات هي صناعةٌ لا علمٌ. والمنطق(١ وسائر اقسام الفلسفة هي علوم حقيقيَّة يستضيء بها الذهن ويكشف مبادئ الاشياء واسبابها وعللها والمستحيل والممكن والمستقيم والمعوجّ من الاعمال والافكار ويعرف خواصّ المادَّة والبسيط وكثيرًا من اسرار الطبيعة التي أُودعت فيها بقدرة الخالق العظيم ويقف على قواعد الآداب الطبيعيَّة وواجبات المرء نحو نفسهِ ونحو الله والقريب ويطّلع على غاية وجودهِ في الدنيا ويعرف موضوع سعادتهِ الوحيد. وعلى قدر تعمّقهِ في هذه الدروس الشريفة يزداد حبًّا لخالقهِ ذي الجلال ومعرفةً للواجبات وميلًا الى الفضيلة والانقياد لنواهي مولاه الصمد واوامرهِ ولذلك كان من اجلّ اقوال الحكمة ما قالهُ باكون العالم الانكليزي. « قليل من العلم يبعدني عن الله وكثيرٌ منهُ يقرّبني اليهِ». واذا التفتنا الى الذين افتُتِنوا في دينهم من اهل بلادنا ظهر لنا مصداق هذا القول الرائع احسن ظهور لاننا نرى انهم ممن عُرفوا عند العامّة بالعلم ووُصفوا بهِ وهم في الحقيقة ممّن لم يصيبوا منهُ الّا النزر القليل ولذلك ابعدتهم قلّة العلم عن الله فنبذوا حقائق الدين ظهريًا وجعلوا يتلفّظون بعبارات الأستخفاف بالاداب الصحيحة ويتفكّهون باهل الورع والديانة. ومن الغريب انهم يجعلون استخفافهم بالدين عنوانًا لايغالهم في العلم مع انهُ دليلٌ دامغ على انهم لم يحصلوا

---

١) المنطق قسمان قسمٌ صناعي يتعلق بكيفية العمل وقسمٌ علميّ وهو مبنيّ على المبادئ العقلية

منهُ ألا على شذر يكاد لا يحسب شيئاً . وقد صار في يقين فئة من عوامّ بلادنا ان العلم يخرج بالمرء من خطّة الدين ويحملهُ على جحود كثير من حقائقهِ . وذلك ما حدا بعضهم على ان ينبذوا الدين ويزدروا اوامرهُ ونواهيهُ تمثّلاً باولئك الموصوفين بالعلم (وهم بالحقيقة من ادعيائهِ) ليقال عنهم انهم من اصحاب العقول الثاقبة والمعارف الواسعة

وهذا الذي قلناهُ ليس رجماً بالغيب او من قبيل الظنون بل من الحقائق التي اثبتتها لي شواهد الامتحان اذ اتاحت لي الايام والظروف المختلفة الاجتماع باشخاص عديدين من هولاء ادعياء العلم الغاوين وباحثتهم في مواضيع شتّى فدلّت اجوبتهم على جهل فاضح . وظهر من كلامهم انهم ليسوا على شيء من العلم . فهذا لا يتجاوز علمهُ قواعد النحو والصرف واللغة والعروض وما ذلك بعلم كما سرّ ولا يدعى صاحبهُ عالماً . وذاك يتكلم بلغة اجنبية وقد درس الجغرافية ويعدّ نفسهُ لذلك عالماً مع ان الببغاء يتكلم بلغات مختلفة . والآخر يدعي بالعلم لانهُ درس مبادئ المنطق الصناعية المدعوّة باب العلوم وهي لا تحسب قسماً منها الا للملاحظة معلومة ومن عرف من الدار بابها لا يقال انهُ يعرفها . ومع ذلك فهو يدّعي انهُ عالمٌ نهّامة فيصوغ اقيسةً سفسطية يحيد بها عن مدارج الحق ويزيغ عن وضح المحجّة فيغدو مصداقاً لقولهم « من تمنطق شهراً تزندق دهراً »

وان قيل ان فلاناً المفتون في دينهِ لم يتعلم النحو والصرف والمنطق فقط بل درس ايضاً الفلسفة باقسامها فهو اذاً عالم بالحقيقة لا بالاسم . فالجواب ان امثال هذا العالم الجاحد فئتان . فئة درست مبادئ الفلسفة في احد المختصرات . وفئةٌ درست المطوّلات الممزوجة بالترهات والمبادئ الفاسدة على استاذ ضالّ . فمَثل الفئة الاولى مثل من درس من النحو الاجرومية فعدّ نفسهُ نحويّاً بارعاً يباري سيبويه والكسائي وابن مالك وعمد الى انشاء المقالات وتصحيح الكتب . فلا جرم ان ما يصدر عن قلمه يكون مشحوناً بالاغلاط والتراكيب السقيمة والمعاني التافهة واضحوكة للناظرين . ومثل الفئة الثانية مثل السقيم يداويهِ دجّال والكفيف يقودهُ اعمى فالفئة الاولى اي الذين درسوا من الفلسفة مبادئها هي اكثر عدداً في بلادنا وعدد منهم غير يسير قد درسوها على اساتذة مستقيمي الراي . ولكنهم غووا وضلّوا سبيل الهدى لانهم عدوا انفسهم فلاسفة وليسوا كذلك . ولانهم بعد خروجهم من المدرسة يعمدون الى كتب الكفرة والجاحدين

فيطالعونها بشهوة ويمتزج مبادئها الفاسدة بعقولهم لموافقتها اهواءهم النفسانية وتسهيلها لهم سبيل الخروج عن طاعة اوامر الديانة الصعبة المراس ولا يمتحنون كتاباً من تأليفات الفلاسفة الحقيقيين واللاهوتيين المدققين

وهنالك سبب آخر عام يُعدّ مصدراً للغوايات والاضاليل وهو ان هؤلاء واولئك يدعون الوحيَ جانباً ويستندون في ابحاثهم الى العقل وحده. فتزلّ اقدامهم وتشرد تصوراتهم ويتيه دليلهم ويقعون في مهواة الغيّ. ألا ترى الفلاسفة العظام الذين لم تستنر عقولهم بضياء الوحي كاريسطو وافلاطون وسقراط وغيرهم كيف ضلّوا وُجهةَ الصواب في اكثر الحقائق الالهيّة. وانظر الى الذين اعتمدوا في ابحاثهم العقليّة على العقل وحده تاركين ما اوحاهُ الله جانباً كيف تردَّدوا في أضاليل مضحكة ولم يستقرّ لهم رأيٌ على شيء. فلم يسلم من شائبة الغواية الّا الفلاسفة الذين استعانوا بالكتب المنزلة واتخذوها مصدراً للحقّ فاثبتوا بالفلسفة قضايا الايمان وقوّموا الفلسفة بالحقائق الموحاة موفقين بين الامرين فصدر عن منهجهم هذا القويم علم الكلام وهو « الحِجاج عن العقائد الايمانيّة بالادلّة العقليّة » فكانت لذلك آراؤهم سديدةً تُخاصِك المشكلات وتزيل الشبهات

ويتخلّص من كلّ ما ذُكر انّ جحود الحقائق الدينيّة ليس دليلاً على علم المرء وحدّة ذهنه كما يتوهّم بعض العامّة بل هو دليل على جهله وانحطاط مداركه وكبريائه. فاذا رأيت رجلاً من هؤلاء يتباهى بذلك الجحود فاعلم انهُ ممّن خلوا من العلم الصحيح ومعرفة قدر عقولهم الضيقة. أليس من الجهل والكبرياء ان لا يعتقد المرء الّا بما يدركه عقلهُ. فما العقل البشريّ حتى يُدرك امورَ الله وأعمالَهُ الغير المدركة. فهو صغير محدود والامور الالهيّة سامية غير محدودة. وكيف يسع القدَحُ الصغير جرّةَ ماء كبيرة فعلى الذين لم يُعطَوا موهبة العلم الصحيح او رُزقوا منهُ يسيراً ان يعترفوا بقصورهم ويطلبوا الشهرة من غير هذا الوجه الموبق. وليرفعوا من قلوبهم تلك الدَّعارة المُردية والتفاخر المعيب. بل فليَزدهم قلّةُ علمهم اتضاعاً وتمسُّكاً بالحقائق الكاثوليكيّة المقدّسة الموحاة منهُ عزّ وجلّ وليطووا عن مطالعة كتب الجاحدين ومجلّاتهم كشحاً لانها تنفث في صدورهم سمّ الشكوك والارتيابات بزخرفتها ومغالطاتها التي لا يضطلعون بدحضها لعدم تمكّنهم من العلوم العالية ولا سيّما علم اللاهوت الاعتقادي

تلك خطَرات افكار في هذا الموضوع المهمّ. ولعلّ المشرق الاغرّ الذي تصدره

جماعة العلم الصحيح وحُماة الدين القويم يزيدها من واسع علمهِ نصحاً لمن غوى والى دركات الضلال هَوَى والله الموفق الى قصد السبيل

الطاعون الدمَّلي

مقالة للاب لويس بولوموا مدرّس العلوم البكتريولوجيَّة في مكتبنا الطبيّ

١ تاريخ الطاعون

ما من آفة نال أذاها البشر في كرور الاجيال ونشرت في العالم الموَتان والاهوال كذا. الطاعون الضال الذي ابقى في مخيّلة الشعوب اثرًا مشؤومًا ترتجف الفرائص لذكر شراه الجحاف وسهمه القتَّال

ولكن قد وهم البعض اذ نسبوا الى الطاعون الاسود او الدُّمَّلي أوبئةً أُخرى اسهب قدماء المؤرخين في تعريف خواصّها المرَضيَّة. وذلك أنَّهُ شُبه عليهم اسم الطاعون الذي وجدوهُ في اوصاف اولئك المؤلفين فظنُّوا انَّ المراد هو الطاعون الاسود. والصواب انَّ لفظة الطاعون في العربيَّة كلفظة (Peste) عند الاوربيين ربَّما أُطلقت على كلّ عدوى تنتشر في بعض البلاد وتجحف بقسم من سكَّانها وذلك امرٌ اشار اليهِ جاليتوس الطبيب الشهير. ولكن اذا حصرنا الكلام على الطاعون الاسود وجدنا انَّ ما يُعزَى به هذا الداء عمَّا سواهُ الغُدد او التفّاطات التي تظهر في جسم المصابين على جلدهم. فاذا لم تبدُ هذه الخُراجات فليس الداء بطاعون وانَّما هو وباء شبيه بهِ من حيث مفاعيلهِ الوخيمة. وعليهِ فانَّنا لا نعدُّ كطاعون ثلاث آفات احتلَّ بلاؤها في القرون الغابرة على بعض الاصقاع ودعاها المؤرخون طاعونًا غير انهم سكتوا في تشخيصها عن ذكر البثور الخاصَّة بالطاعون الاسود. وكان ظهور الوباء الاوَّل في بلاد اليونان سنة ٤٣٠ قبل المسيح في خلال الحرب البيلوبونيسيَّة ولم يلبث ان عمَّ شرُّها البلاد المجاورة من آسية الصغرى والجزائر البحريَّة. وقد تضاربت آراء المحدثين في بيان امر هذا الداء الذي وصفهُ توقيديد المؤرخ أهو الحمَّى الصفراء او التيفوس او الجدري او غير ذلك ممَّا لا يعنينا الآن الخوض في البحث عنهُ. امَّا العدوى الثانية فانَّها اصابت الجيوش الرومانيَّة سنة ١٦٦ م على عهد مرقس اوريليوس وقت سيرها لمحاربة البرتيين تحت قيادة

لوقيوس شارُس. ونقلتها الجنود الى رومة فانتشرت من ثمَّ في جميع انحاء ايطالية. وقد شاهد جاليئوس هذا الداء وشخَّصهُ في تآليفه وهو اشبه بالداء السابق المذكور في تأريخ توقيديد. وظهر الوباء الثالث في مصر سنة ٢٥٥ م فتنك بسكَّانها فتكًا ذريعًا ثمَّ تعدَّى الى سواحل افريقية والى اليونان وايطالية ولم ينتهِ الَّا بعد عشر سنوات فاتلف من الارواح ما لا يحصيه الَّا الله. واوصافهُ مسطَّرة في تآليف القديس قبريانس الشهيد اسقف قرطاجنَّة وهي توافق ما ذُكر عن الجائحتين السابقتين

على أنَّنا لا ننكر معرفة القدماء بالطاعون الاسود ذي الشرى والغُدَد السود. فانَّ الكردينال ماي اكتشف كتابًا خطيًّا مسطَّرًا على رقٍّ غزال كان رُقم عليهِ كتابة سابقة محتها النسَّاخ لخطّ تأليف جديد. فاستمدَّ الكردينال بمواد كياويَّة الخطَّ الاوَّل فوجد فيهِ تأليفًا لاورباز (المتوفى في اوائل القرن الخامس بعد المسيح) ورد فيهِ ذكر الطاعون الدُّمَّلي كما وصفهُ الاطبَّاء في ايَّامنا ببلاد الهند. وهذا تعريب قول اورباز:

« انَّ الدُّمَّلات الطاعونيَّة كلّها قتَّالة وتنشو بنوع غريب لاسيا في بلاد ليبية ومصر وسوريَّة »

فهذه الالفاظ الوجيزة لا يُمكن اطلاقها الَّا على الطاعون الاسود اذ وصفهُ المؤلف بخواصّهِ المفرزة لهُ عمَّا سواهُ. والدليل على ذلك انَّهُ بعد قوله السابق يحوِّل القرَّاء الى مطالعة مقالات ديونيسيوس الاحدب وديوسقوريدس وبوسيدونيوس وفيها اوصاف الطاعون الاسود الفاشي في السنة ٣٠٠ ق.م بنواحي ليبية. ومن تشخيصهم للمرض انَّهُ « يصيب المطعون حمى شديدة مع اوجاع وارتعاج في كلّ البدن وهذيان ودوار و بروز دُمَّلات متَّسعة الدائرة فيها جسوٌ دون ان يخرج منها صديد وهي تبرز في البدن كلّه »

ومع هذه الاوصاف المدقَّقة كانت الدلائل التاريخيَّة لبيان فشوّ الطاعون الاسود قليلة جدًّا قبل السنة ٥٤٢ ميلاديَّة. ولمَّا دخلت السنة المذكورة على عهد الملك يُستنيان ظهر هذا الداء في مدينة بلوزة من اعمال مصر السفلى وسرت العدوى الى سواحل بحر الروم ثمَّ انتهت الى تخوم فارس. وممَّن وصف الوباء المؤرخ إڤاغريوس الشهير قال: « لا السنّ ولا بنية الجسم ولا اصناف الاحترازات اجدت نفعًا بازاء هذه العدوى. فمن المصابين من كان يعتريهم على بغتةٍ حمَّى خفيفة دون ان

يطرأ على هيئتهم تغيير كبير وربّما كانوا لا يبالون بهذه الظواهر فيحسبها الاطبّاء كتعب عَرَضي ليس الّا. على انّهُ كان يعقب هذه اللوائح نفاطات ودمامل تحت الآباط... وكان المرض اذا اشتدَّت وطأتهُ على المصابين ألحق بهم سُباتاً ثقيلًا محا من ذاكرتهم كل الامور او كحل عيونهم بالسُهاد وبلبل افكارهم وكنت ترى بعضهم يضطربون كأنَّ بهم جنوناً ويفرُّون هاربين من اشباحٍ تتخيَّل لهم بصور هائلة. وكان اغلب هؤلاء المنكوبين يذهبون فريسة الداء... وكانت الدمامل في بعضهم محدَّدة الرؤُوس فاذا تفجَّرت وخرجت منها الخُراجات نجا اصحابُها. ومن البثور صنف اسوأ من غيره عقبى كان يظهر على الجسم بشكل بُقعٍ محمرَّة يبرز فوقها دُبولٌ سود على كبر عدسة. فكان الذين يُصابون بهذه الدمامل يسقطون صرعى على الحضيض ويتقيَّأون دماً ويموتون فجأةً »

تلك هي التفاصيل الواردة في كتب المؤرخين عن هذا الوباء وهي لا محالة نفس العلامات التي لحظها الاطبّاء في العدوى المنتشرة في ايامنا في الهند والصين

ومذ ذاك العهد تكرَّرت هجمات الطاعون في بلاد شتَّى من آسية واوربَّة. وقيل انَّ اوَّل طاعون ظهر في الاسلام كان بعد فتح المدائن بعد الهجرة بقليل وعقبهُ في أيام عمر ابن الخطَّاب سنة ١٨ (٦٤٠ م) طاعون عمواس وهي بلدة على ستّة اميال من الرملة على طريق القدس فشا منها الى ارض الشام. قال ياقوت الحموي وغيره انَّهُ مات فيه خمسة وعشرون الفاً من المسلمين. وقد عدَّد الكُتَّاب فون كريمر خمسين طاعوناً (١ في القرون الثلاثة الاولى للاسلام

ومن الطواعين التي وجفت لها القلوب هلعاً طاعون القرن الرابع عشر المعروف بالطاعون الاسود او الموت الاسود وكانت نشأتهُ في الصين سنة ١٣٣٤ فلم يزل يمتدّ تدريجاً من صقعٍ الى آخر حتى تجاوز الهند وفارس وتخوم الروس فضرب اطنابهُ في بلاد اللاه والمانية ثمَّ فرنسة وايطالية وانكلترَّة ونروج ولم يتقلّص ظلّهُ الّا في سنة ١٣٥١ بعد ان اجتاح ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ من اهل اوربَّة اعني ربع سكّانها وكان مجموع قطّان قارة اوربَّة آنئذٍ ١٠٥,٠٠٠,٠٠٠. ويؤخذ من رسالة البابا كليمنس السادس ان عدد الوفيات في المعمور بلغ اذ ذاك ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ وهي لعمري جائحة تطنّ لها الآذان الى يومنا هذا. وكان من سماتها ان ينتشر على جلد اصحاب هذا الداء شرًى وغُدد

(١) راجع A. V. Kremer : *Culturgeschichte des Orients* I, 490

ويتقيَّأون الدم ويتفلون موادّ صديديّة. ألا انّ هذه الاعراض ليست بادية في كلّ الاوبئة لاختلاف اجناسها فانّ الوباء الصيني مثلاً يغلب فيهِ على المطعونين عراقيل الرئة والتبقُّعات الحمراء والدمامل

وعاد الطاعون بعد ذلك فاحتلّ مراراً في اوربّة كضيف مشؤوم على انّ وطأتهُ كانت اخفّ من العدوى السابق ذكرها اللّهم الّا في السنوات ١٥٧٥ — ١٥٧٨ اذ فشا في كثير من مدن ايطالية. ثمّ كرَّ راجعاً في القرن السابع عشر فأَلحق في انحاء اوربّة اضراراً لا تُحصى. الّا انهُ بعد ذلك اشفق على شمالي اوربّة وزحف بخيلهِ ورجلهِ على الجنوب فلم يُبقِ ولم يذر. فمن ذلك وباء سنة ١٧٢٠ نقلهُ الى سواحل فرنسة مركبٌ تجاري أبحر من مدينة صيدا. ميمّماً مرسيلية وكان شحنهُ حريراً قُبلي نوتيَّان بداء الطاعون وماتا دون ان يُشعِر الركَّاب بسبب موتهما. فسرت العدوى من السفينة الى مدينة مرسيلية ثم الى جنوبي فرنسة وقتلت اهلها ابرح قتل. وهو الوباء الذي اشتهر فيهِ ذلك الشهم المقدام والبطل الهمام السيّد دي بلزُنس اسقف مرسيلية فانهُ ضحَّى نفسهُ عن شعبهِ على مثال الراعي الصالح ولم يزل ليلاً مع نهار يتولّى بنفسهِ شؤون المصابين حتى انهض الهمم وقوَّى العزائم واجتذب بمثلهِ مئات من الكهنة والرهبان لتمريض المطعونين واسعافهم بكل ما امكن من الوسائل ولم ينقطع عن اعمالهِ المبرورة حتى نال بصلواتهِ من الله ان يكفَّ ذراع غضبهِ عن رعيّتهِ. قيل انهُ مات منها نحو اربعين الفاً في مرسيلية وحدها. ولا يزال الى يومنا تمثالهُ في اكبر ساحات المدينة اقامهُ لهُ الاهلون كذكر مخلَّد وشكر مؤبَّد

ولم يعد الطاعون الى فرنسة منذ ذاك الحين غير ان صقلية ابتُليت بهِ في سنة ١٧٤٣ اتاها من احدى السفن القادمة من بلاد اليونان الى مسّينة فاتلف باقلّ من ثلاثة اشهر ٤٣٠٠٠ نفس ثم خمدت بعد ذلك سَورة العدوى في اوربّة جملة

امّا البلاد الشرقيّة فانّ كثيراً منها تكنّ في صدرها جراثيم الطاعون لاسيما مصر التي تُعدّ كاحدى مصادر الوباء. فانّ عدد الطواعين في مصر بلغ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٤٤ نيفاً وعشرين طاعوناً دام منها كثيرٌ مدَّةً تربي على سنتين. وفي زحفة نابوليون على مصر مات من جيشهِ فوق الفيّ جندي بالطاعون

وتوارى الداء من مصر منذ سنة ١٨٤٤ بيد انهُ في هذه الاسابيع الاخيرة لم تلهج

الالـن سوى بذكر الاصابات الواقعة في الاسكندرية. ونسأل الله ألّا يبتلي عباده بهذا الداء العقام

امَّا بلاد الشام وآسية الصغرى فان الطاعون وفد عليهما مرارًا في القرون الماضية وقد دفع الله عنهما اذاهُ منذ سنة ١٨٣٩. وكذا انقطع الوباء عن بلاد المغرب والجزائر مع فشوّهِ مرّتين في طرابلس الغرب

ومن البلاد التي امتحنها الله قريبًا بالطاعون بلاد العسير في جنوبي جزيرة العرب وفد عليها الوباء في السنين ١٨٥٣ و ١٨٧٤ , ١٨٧٩ , ١٨٨٩ وكذا يُعدّ العراق العربي وشرقي ما بين النهرين كنواحٍ موبوءة توالت عليها فتكات الطاعون. وقد شنّ الغارة مرارًا على بغداد مدينة السلام

قال المسيو تولوزان ان مركز الطاعون الاصلي في القسم الاعلى من حوض الفرات يدخل في حيّزهِ بلاد العجم كما اثبتت ذلك اللجنة العثمانية. والاقاليم المصاب بهذه البليّة العظمى اكثر ممّا سواهُ اقليم اذربيجان جرف الطاعون اهلهُ في السنين ١٨٦٣ و ١٨٧٠ و ١٨٧٢ و ١٨٧٨ و ١٨٨٥ ثمّ يتلوهُ خراسان ثم كردستان

ومن اقاليم الصين الموبوءة عادةً اقليم اليونّام ومركز الوباء في ياخوي احدى عواصمه. ومنها صدر طاعون سنة ١٨٩٢ ودخل كانتون فقتل من سكانها ١٨٠،٠٠٠ نفس وسار من ثمَّ الى شمالي غربي الهند فانخلعت لظهورهِ القلوب وهو لا يزال منذ ثلاث سنين ينشر في عباد لواء الموتان

هذه نبذة موجزة تنبئنا بتاريخ الطاعون واعماله الغير المشكورة وهي تبشرنا بالويل والثبور اذا ما تغاضينا عن سدّ باب اقطارنا في وجهه واذا لم نتخذ الوسائل الفعّالة في قطع دابرهِ وهو العدوّ المشؤوم الذي يعمل في الامصار عمل السيف البتّار فلا يرعوي الّا بعد اخلاء الديار وتعمير القبور بنفوس الاحباب والذراري

وفي مقالة ثانية سنستوفي الكلام ان شاء الله عن تعريف الطاعون وخواصهِ وكيفية سريانهِ والوسائل التي تعرف حتى الان لدفع بلائهِ (ستأتي البقيّة)

شهيد العلم

بقلم محمّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان

عثرت في احدى المجلات الاجنبيّة على طرفة من سيرة المقدام الطيب الأثر الدكتور

هرمان مولر النمساوي مكتوبة بقلم الشهم الوفي أيسنان من سكان ڤينة فنقلتها الى العربيَّة مقتفيًا اثر كاتبها ملتزمًا سياق كلامه غير منحرف عنهُ او متصرّف بشيء · منهُ الّا حيث اقتضى المقام الربط بين مواصل الكلام او جاء استطرادًا والاصل لا يخلو عن معناه

قال الشهم المنوَّه بهِ : لمَّا كان الطاعون منذ سنتين فاشيًا في بلاد الهند استقرَّت آراء الاعضاء بالمجمع العلمي في ڤينا على ايفاد بعثة مؤلفة من اطباء نمسويين الى بمباي للوقوف على ماهية هذا الوباء الهائل واختاروا رئيسًا لهذه البعثة الدكتور فرانز هرمان مولر (D[r] Franz Hermann Müller) الطبيب في المستشفى العمومي واحد الاساتذة في كلية ڤينة وعمره اذ ذاك زهاء ثلاثين سنة وقد طارت شهرتهُ في هذا السنّ بعلمه وخبرته بالكلينيك وكان الطلبة عمومًا والانكليز والامركان منهم خصوصًا يتزاحمون ويتسابقون الى سماع خطبهِ في الطب الباطني ويفضّلونهُ على غيره لانهُ انتقى احسن اساليب التعليم وتوخّى اقرب الموارد تناولًا لفهمهم في كلينيك المستشفى · وكان في مهنته مثالًا للاستقامة وفي مراعاة واجباته عنوانًا للامانة · وفضلًا عن ذلك كله فانهُ كان يرأف بالمرضى الفقراء ويعطف ويحنو عليهم رأفةً وعطفًا وحنانًا اجتنى بدلها شغفًا به واخلاصًا لهُ واكرامًا

ولمَّا دعوهُ ليتولَّى رئاسة البعثة الموما اليها لبَّى هذه الدعوة الغارة غير متردّد عن قبولها مع ما هنالك من التعرّض للخطر والتهلكة

وسافر رجال البعثة المذكورة الى بمباي واقاموا هناك مدَّة ثلاثة اشهر اتوا في خلالها اعمالًا مجيدة وامتاز رئيسهم المشار اليه بجرأته وإقدامه · وكان كلَّما سنحت لهُ فرصة بادر الى المنازل لمعاينة المصابين فيها باشدّ ما يكون من اصابات الطاعون غير متهيّب الخطر المستجنّ بهِ ولم يعرف الراحة في جميع اوقاته ولم يطلب النزهة · وهكذا تسنَّى لهُ ان يشاهد في تلك المدَّة القصيرة اكثر من الف مطعون في منازلهم وعلى فرشهم ودوَّن معلومات وافية عن كثير من الحوادث التي عاينها وحقَّقها · ولمزيد رغبته في الوقوف على ماهية هذه الضربة الهائلة شارك زملاءه في تشريح عشرات من جثث الذين ماتوا بالطاعون استجلاء لِما خفي عليهم من امره

وبعد ذلك قفل الاطباء الموما اليهم راجعين الى بلادهم مستصحبين كميَّة من

باشلوس الطاعون وكتبوا تقريرًا وافيًا بما رأوهُ في بمباي وارتأوهُ بخصوص الطاعون. وقدَّموا تقريرهم هذا الى المجمع العلمي في ڤينة فعهد اليهم ان يختبروا مفعول الباشلوس المذكور بالحيوان ليتحققوا كيف تدخل جراثيم الطاعون الاجسام وليبحثوا عن الوسائل التي تقي الناس شرَّ هذا الوباء. واختصُّوهم بمحل في دار الباتولوجيا بالمستشفى العام للتجربة والاختبار وسموه «محلَّ الطاعون» ووفَّروا لهم المعدَّات والشروط الصحيَّة وكثَّلوها ولم يعوزهم شيء. من التدابير اللازمة للوقاية وعيَّنوا خادمًا مراقبًا لهم اسمهُ «باريش» خصُّوهُ بواجبات اهمَّها ان يعلف الحيوانات المعدَّة لاجراء الاختبار وينظّف المحل المذكور والأقفاص وان ينظّف ايضًا الادوات المستعملة ويطهرها ويحرق الجيَف. وقد أفهم هذا الخادم خطارة وظيفته ففهم وعرف واجباته واتمَّها بكمال الدقَّة وقد رافق النجاح عملهم مدَّة سنة اختبروا في خلالها اموراً كثيرة وحققوها. ومع ان الخطر كان يعترضهم غالبًا لم ينلهم اذى لشدَّة حذرهم ومبالغتهم في التحوُّط وما لبثوا بعد ذلك ان استخفُّوا الخطر لتعوّدهم ملاقاتهُ واصبح باريش متوانيًا غير مكترث بعمله وأغفل اموراً لم يكن بدٌّ منها ولا غنى عنها في هذه الاحوال حتى ادَّى به التهاون الى المرض فبدت عليه يومًا اعراض تشفُّ عن التهاب في الرئتين فجيءَ به الى المستشفى واحضروه الى كلينيك الاستاذ نوثناجل (Nothnagel) وفيه كان الدكتور مولّر الموما اليه معاونًا اول للاستاذ فباشر اي المعاون فحصَ الخادم ولم يتبيَّن حقيقة مرضه بل اشتبه به وهذا الاشتباه دعاهُ الى تكليفهم نقلهُ الى غرفة منفردة وُعني هو بملاحظته بتزيد الدقة. فجاءت نتيجة الملاحظة وَفق ظنه وهو ان الخادم مصاب بالطاعون وعليه فحص دمًا من دم هذا المريض فحصًا بكتيريولوجيًا ازال ارتيابه اذ وجد فيه باشلوس الطاعون

ولم يكن الدكتور مولّر ليملَّ ملازمة هذا المريض و بعد اتمامه الفحص المارّ ذكره زاد اهتمامهُ به ولم يفارقهُ الَّا نادرًا حتى انَّهُ انقطع عن التدريس وإلقاء الخطب ووكَّل الى زملائه عيادة مرضاهُ وقد بلغ انعطافهُ عليه درجةً نسي معها أحيانًا ان يأكل. وكان يبقى في غرفة العليل من الصباح حتى نصف الليل باذلًا كلَّ ما في وسعه لهذا الشاب وقد فعل ما فعل وهو على يقين من ان باريش مطعون ولا رجاء بشفائه البتَّة. وقال لاحد زملائه بعد حين «ان الطاعون اذا تمكَّن من امرئٍ خاب الرجاء بالنجاة منهُ

ولقد شاهدتُ في الهند مئات من الحوادث التي تشبه حادثة باريش وبها عرفت ان قد حانت منيّتهُ. وبالنظافة التامة قد تُتّقى العدوى بعض الاتقاء. امّا اذا نشبت في الجسم فلا بُرءَ منها ولا خلاص من شرك المنيّة

ودام مرض باريش اربعة أيام ثم مات وحذرًا من ان يلمس احد جثتهُ تولى الدكتور مولر نفسهُ تكفينه فلفَّهُ بكفن بعد ما بلّه بمحلول السليماني ثم رفعهُ من على فراشهِ ووضعهُ في النعش وطلاهُ بالقير وشدّ الغطاء. واخرج النعش من الغرفة ثم باشر تطهيرها فاحرق كل ما كان فيها قابل الاشتعال وقلع ألواح الخشب التي كانت بارضها واشعلها وغمر كل ما لم يحترق بمبيد مانعة العدوى ولم يكتفِ بذلك بل تناول قطعة زجاج وعمد الى حيطان الغرفة وسائها فكشطها بها

وفي اثناء مرض باريش خالطهُ اثنتان من الممرّضات تناوبتا مع الدكتور مولر على خدمتهِ وبعد موتهِ وضعوهما في مكان منعزل وجعلوهما قيد المراقبة الطبّيّة وثاني يوم موته تصاعدت حرارة احداهما «ألبين بيخا» البالغ عمرها اثنتين وعشرين سنة وارتفعت درجتها كثيرًا ومع ان اعراض المرض لم تكن بادية عليها استصوب الاطباء نقلها الى المستشفى المخصّص بالامراض الوافدة في خارج فينّة لاسباب العزلة اذا اعتراها المرض وقد أختير الدكتور مولر ليرافقها في عربة من عربات المستشفيات وليهتمّ بها ويداويها

ولمّا وصلوا الى المستشفى اختارت الفتاتان غرفة من غرف المأوى المعدّ لحوادث العدوى الخطيرة واقام الدكتور مولر في غرفة مثلها وفي غيرها اقامت راهبتان من راهبات الشفقة الممرّضات وتنحّوا كلهم عن المخابرة مباشرةً مع ايّ كان

امّا المأوى المذكور فهو بناء قائم الزوايا كائن في حديقة المستشفى يشتمل على اربع غرف كل غرفة منها معدّة لشخص واحد وفيها حمّام ومحلّ للتطهير من العدوى هذا فضلًا عن غرفة الممرّضة وكل غرفة من هذه الغرف مستقلّة عن الاخرى ولها مدخل مستقلّ ومنع المرضى من مخالطة بعضهم بعضًا او مخالطة غيرهم من القائمين بادارة وخدمة المستشفى. وجعلوا حول البناء المذكور حبلًا كحدّ لم يؤذن حتى لاطباء المستشفى ان يتعدّوهُ وبالغوا في التحوّط بتقديم الاكل لهؤلاء المعتزلين في المأوى المحكيّ عنهُ فكانت احدى الراهبات تأتي وتدقّ الشبّاك وتنتظر فتجيء احدى الراهبتين الموجودتين

داخلا وتفتحهُ وتضع صحونًا على عتبته الخارجيَّة ثم تنغلق فتعود الراهبة الاولى وتصب في تلك الصحون الطعام التي جاءَت به وتنطلق قبل ان يتناولوهُ من الداخل وعلى هذا النمط تمشوا في إدخال الادوية وما شابها الى المأوى

وكان الدكتور مولر اذا اراد ان يصف لمدير المستشفى حالة المرضى او يخابر احدًا في الخارج تناول ورقة وكتب عليها بحروف كبيرة ما عنَّ لهُ ثم طنَّ الجرس مستدعيًا واحدًا من خدمة المستشفى ووقف هو عند الشباك والورقة في يدهِ فيجيء الخادم ويقف على بُعدٍ معيَّن ويكتب ما يراهُ مكتوبًا على تلك الورقة ويسلّمهُ الى الشخص المرسل اليهِ . اماَّ وصفات العلاج التي كان يصفها الدكتور مولر فنُقلت بواسطة طبيب من اطباء المستشفى على النحو المار بيانهُ

قلنا ان الدكتور مولر والممرّضتين وصلوا الى المستشفى وكان وصولهم اليهِ عند الظهر ولشدَّة اهتمام الدكتور بهاتين الممرّضتين زارهما بعد الظهر مرارًا فرأى ان احداهما على غاية ما يرام اماَّ الاخرى وهي « ألبين بيخا » فكانت دلائل الحمَّى ظاهرة في جسمها وكلما فحصها مرَّة وجد درجة حرارتهـا في صعود مستمر وعند المساء ساءَت حالها حتى اضطرت الى ملازمة سريرها وحينئذٍ ثبت عند الطبيب ان تلك الفتاة الفقيرة قد سرت اليها العدوى واصابها الطاعون . وكانت قبل ذلك بساعات قليلة مثلًا يتمثَّلون بهـا من حيث كمال الصحة . وبالرغم عن احتياج الدكتور الى الراحة بعد التعب المتعب ابى ان يفارق الفتاة وبقي عندها حتى ارخى الليل سدولهُ وكان يعتقد انَّ واجباتهِ تقضي عليه باستنفاد كامل جهده في خدمتها ولوكان من المقرَّر عندهُ ان شفاءَها مستحيل وان الحذق الطبي لا يجدي وقتئذٍ نفعًا

ولمَّا درت الفتاة بدنو اجلها فاضت دموعها وتحدَّرت عبراتهـا واجهشت بالبكاء فاقبل الدكتور مولر وجلس على طرف سريرها وقد رقَّ لها قلبهُ واخذ يسلّيها بكلام صادر عمَّا في نفسهِ يمتزج مع القلوب وينفّس الكروب

واذا علمتَ حال الفتاة حكمت انها جديرة بإجازة الغصَّة حقيقة بافضل تعزية فانها كانت متَّفقة مع احد ارباب الاطيان المثرين في بلاد ايرلاندا على ان تكون ممرّضة ملازمة لهُ بشروط حسبتها في غاية المناسبة لظروف حالها ولم يكن باقيًا من مدَّة خدمتها في المستشفى الَّا ايام قلائل عوَّلت بعد انقضائها على السفر الى بلاد المثري الموما اليهِ -

ولكن ما ابرقت اسرَّة هذه الفتاة التي ربيت في مهد الفاقة وشبَّت فقيرة وما بزغت شمس آمالها حتى فاجأها الطاعون الوبيل وهي تباشر في فينة خدمة جلية تستحق بها الثواب الحقيقي فسطت على جسمها جرثومة الخبيثة

ولم يفارق هذا الطبيب الامين تلك الفتاة المطعونة حتى حال دونهُ دنو اجله كما ستري وبينا هو عائد الى غرفتهِ اصابتهُ قشعريرة وارتجف جسمهُ وصرَّت اسنانهُ فخاطب نفسهُ متجلدًا قائلًا « إنْ هذا الّا نتيجة البرد القارس بليالي تشرين الاول ». ثم احسَّ بان قواه قد انتهكت كأنهُ مشى طول النهار فناجى نفسهُ قائلًا « لا غرو ان اعياني التعب في الليالي الاخيرة لم أنم الّا قليلًا وفي النهار كان حظي انشغال الفكر والقلق »

ولمَّا انتهى الى السلَّم المؤدي الى غرفتهِ ووضع قدمهُ على الدرج كاد يسقط على الارض فاشتكى حينئذٍ قائلًا : « حالة مستغربة وانا لم يصبني الدوار مطلقًا أترى هذا المرض يدهمني انا ». ثم دخل غرفته وفيما هو نازع الى خلع ردائهِ خطر لهُ ان يكتب الى والديهِ تسكينًا لروعهما وجلس على كرسيهِ وكتب مستعجلًا تذكرة قال فيها « من الجبن ان يتنحى الطبيب في ظرف حرج كهذا ويتقاعس عن اتمام واجبات مهنتهِ ». وكتب ايضًا ان صحتهُ على ما يرام وانهُ يرجو ان يراهما باقرب وقت (التتمة للعدد القادم)

الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارَ احد مأموري سبَّة ولاية بيروت الجليلة

ذكرنا في ما سبق (٢: ٤١٥) شيئًا من مسهلات التجارة ووسائلها العمومية ففي هذه النبذة التالية نورد ما سنح لنا من الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

١ (الشركات التجاريَّة) هي ان يجمع اشخاص متعدّدة رأس مالهم واقتدارهم وغيرتهم ومقصدهم في نقطة واحدة للحصول على نتيجة عظمى يعجز عنها كلٌّ لوحده. واصول الشركة وان كانت قديمة العهد لجديرة بان تعدَّ من مخترعات هذا العصر الأنور لبلوغها في يومنا الدرجة القصوى من الكمال والترقي. فأينما سرَّحت النظر ترى منها آثارًا تأخذ بالبصائر والابصار من انشاءات جسيمة واعمال عظيمة لولا الشركات لَبَقيت بلا شكّ في عالم العدم

ولا ننكر انَّ الاقدمين قد أتوا بالاعمال العظيمة والمشروعات الجسيمة دون

الالتجاء الى الشركات كما ترى في الاهرام وابنية بعلبكّ وتدمر. على انَّ هذه المآثر انّما كانت نتيجة الظلم والجور يسوق اليها قسرًا ملوكٌ متمتّعون بربوات من البشر استعبدوهم لمصالحهم الخاصّة وهي لم تجدِ رعاياهم الّا النفع القليل. وبخلاف ذلك ان حوّلت النظر الى انشآت زماننا ومشروعاته الخطيرة رأيت الناس يعملون عليها جماعات وعندهم الشغل فيها لقاء الأجر أحلى من الشهد. فيبلغون حيث لم تبلغ الآمال. وهاك الفراعنة مثلًا قد تكلّفوا شيب الغراب لوصل النيل ببحر القلزم لما حال دون عزائمهم من الموانع والعوائق التي دفعتها بسهولة شركة ترعة السويس الحاليّة

فالشركات التجاريّة اذن على اختلاف انواعها(١ من اهمّ اركان المدنية الحاضرة واقوى عامليها. وعليه فما بالُ اغنيائنا لا يتناصرون على المشروعات الخيريّة. ولا يتضافرون على تأليف الشركات التجارية. احياء لمنسوجاتنا الحريرية. وتوفيرًا لوسائل الزراعة والصناعة الوطنية. ولا يعجز القوم اذا تعاونوا. فناشدتك الله ماذا ينقصنا لنأتي مثل هذه الاعمال. أليست بلادنا هي هي تلك البلاد التي لم تدرّ فقط لبنًا وعسلًا بل درّت على سكّانها الاوّلين فضّةً وذهبًا. ألسنا نحن ورثة الفينيقيين واحفاد العرب الخلدي الشهرة وعلى الخلَف حفظ ميراث السلَف. فالعجلَ العجلَ يا قوم لنشر ما أطوى من مناقب اسلافنا الغراء قبل ان تُدرس آثارها وتُطمس اعلامها. والبدارَ البدارَ للحاق بالامم المترقية قبل ان تتراخى المسافة ويعظم البون بيننا وبينها فنعود بخُفّي حُنين وينحني علينا الفرنج باللائمة. وفي ذلك عبرة لأولي الابصار

٢ (روّاد التجارة) اعتاد تجار الغرب ان يرسلوا أناسًا من قبلهم الى اسواق التجارة ليجلبوا الرغبة العموميّة الى مصنوعات معاملهم ومحصولات أراضيهم يدعوهم الفرنج Commis-voyageurs فينتخبونهم من اشدّ الرجال قوّةً واوسعهم روايةً والطفهم صحبةً ومؤانسةً حتى اذا ما خالطوا القوم وجاذبوهم اطراف الحديث يأخذون بمجامع لبّهم ويستميلون افكارهم. فيبرزون لهم حينئذٍ انموذجات معاملهم ويصفونها بما طاب وراق باسلوب ظريف ولسان بليغ. وكثيرًا ما يتكبّدون النفقات العظيمة فيقيمون الولائم ويتخذون المآدب ذريعةً الى بغيتهم ووسيلةً الى مطلوبهم

---

١) للشركات انواع ضربنا عن تعدادها وتعريفها صفحًا خشية الاسهاب

٣ً (المصارف) خدمات المصارف للتجارة وارباها اشهر من ان تُذكر . تُقطع سفاتج التجار وسنداتهم وتمدّهم عند الحاجة بالنقود وتُحصّل لهم لقاء اجرة طفيفة ديونهم او تؤديها سواء كان في البلدة التي يقيمون فيها او غيرها من البلاد الشاسعة فتقيهم بذلك من النفقات الطائلة والغوائل العديدة . وكثيرًا ما تسهّل المعاملات التجارية بين الذين لهم معها حسابات جارية . فيشتري زيدٌ من عمرو سلعًا . فتؤدي المصارف لهذا قيمة السلع بإجراء معاملة حسابية في دفاترها دون ان يتجشم التاجران أدنى مشقّة فضلًا عن اقتصاد الوقت

٤ً (اوصياء التجارة) ويُقال لهم ايضًا عملاء (Commissionnaires) لمن المعلوم ان موقعيّة التاجر منوطة احيانًا بكتم اسمهِ عن الصانع واخفاء مطلبهِ عن رصفائهِ حتى لا يُردّ في طلبهِ من ذلك لعدم اعتبارهِ (Crédit) ولا يُزاحم من هؤلاء في بضائعهِ. فاذا عهد مُشترى السلع التي يُريد جلبها من الخارج الى شخصٍ ثالث وجب توكيل هذا الشخص حسبما يقتضيهِ النظام فيفشي سرّهُ ويضيع معظم وقتهِ . امّا اوصياء التجارة فبراء قانونًا من هذه التكلّفات والمشقّات يجلبون باسمهم وعلى حسابهم مطالب التجار فيقتصد هؤلاء الوقت ويخفون ما نووا كتمانه

٥ً (الاعلانات) ما من أحدٍ ينكر خدمة هذه الواسطة الفعّالة للتجارة وفوائدها الكثيرة . وقد تفنّن فيها الغربيّون وخصوصًا الاميركان تفنّنًا عجيبًا . فما يمرُّ يوم الّا وتتحفنا الجرائد بغرائب الاخبار . من مباحث تستلفت الانظار . وتصاوير تخطف بالأبصار . واعلاناتٍ تُضحك الثكلى وتُزيل الاكدار

٦ً (المستودعات) ان خدمة المستودعات (Dépôts, docks) للتجار وخصوصًا القليلي راس المال منهم لخليقة بالذكر وحريّة بالاعتبار . ذلك ان رأس مال زيد يبلغ الفي ليرة فيشتري بها مثلًا قطنًا . فان لم يبعهُ في الحال وقف دولاب تجارتهِ ريثما تنفق بضاعتهُ . على انّ اربح التجارة ما تعدّدت معاملاتها . وعليهِ يضع زيدٌ قطنهُ باجرةٍ جزئيّة في إحدى مستودعات بلدتهِ ويأخذ لقاءهُ من اصحابها سفتجةً بقيمة الف وثمانمائة ليرة ويُرسلها في الحال الى عميلهِ في مرسيلية مثلًا فيشتري لهُ هذا لقاءها صوفًا . فاذا جاءهُ الصوف وضعهُ ايضًا في المستودع وأخذ من صاحبهِ سفتجةً بقيمة الف وخمسمائة ليرة يبتاع بها شيئًا آخر بينما يظهر مشترى لسلعهِ الاولى وهكذا يُمدّد المعاملة بنفس رأس

المال. وقد أكثر الغربيّون من انشاء هذه المستودعات المفيدة في بلدانهم التجارية وصرفوا عنايتهم الى تنظيم شؤونها

على انَّ هذه الوسائط كلَّها لا تجدي نفعًا لولا الصدق والاستقامة. ولا ريب انَّ هاتين الفضيلتين مبدأ كل نجاح من سلك جدَدهما آمن العثار. ومن زاغ عنهما طاش سهمهُ وانتقضت وسائلهُ فكان مصيرهُ الى البوار. وربَّما يغشّ التاجر الكذوب الناس اوَّلًا وثانيًا فيربح قليلًا ولكن لا يلبث حتى ينكشف سرّهُ وينجلي أمرهُ. فيعرض عنهُ الناس ويخذلونهُ فيندم ندامة الكسعيّ. هذا قلٌّ من كُثر الوسائط التي يتذرعها التجار لترويج تجارتهم في اقطار العالم. ويشهد الحق انهم سموا فذلَّلوا اشمّ الحوائل. وهوَّنوا صعاب المشاكل. فقرَّبوا منال حوائج ضروريَّة كانت أبعد من بيض الأنوق وأعزّ من الابلق العقوق. وليس للانسان الَّا ما سعى

مأثرة برمكيَّة

اقتطفها الاب لويس شيخو اليسوعي

من كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمد البلويّ

انَّ الكتاب الذي اخذت عنهُ هذه الرواية محفوظ في خزانة كتب باريس بين المخطوطات العربية عدده ٧١٠ (Ms Arabes de Paris, Suppl. 710) . وقد جاء في هذا الكتاب عدَّة حكايات غاية في اللطف والرقَّة فاخترنا منها واحدة تفكهًا للخواطر وهي الى اليوم لم تُرْوَ في الكتب المطبوعة. وردت في الصفحة ٥٦ من الاصل

ذُكر في قطب السرور عن عمرو بن مسعدة قال: رفع الى المأمون محمَّد بن عبدالله رُقعةً يَبتُّ فيها بجرمة ويزعم انَّهُ من صنائع البرامكة وانَّهُ مولى ليحيى بن خالد وقد كانت لهُ نعمة واسعة وضيعة وأنَّ ضيعتهُ قُبضت فيما قُبض للبرامكة وزالت نعمتهُ بحلول النقمة بهم ودفعها الى المأمون فدفعها المأمون الى احمد بن ابي خالد وامرهُ بضيِّهِ اليهِ والإجراء عليهِ. فصلحت حال محمَّد بن عبد الله بذلك وتراجع اليهِ امرهُ فكان ينادم احمد بن ابي خالد لا يفارقهُ فتأخَّر عنهُ يومًا لمولود وُلد لهُ فبعث اليهِ فاحتجب عنهُ فغضب عليهِ بسبب ذلك فحبسهُ وقيَّدهُ والبسهُ جبَّة صوف. فمكث كذلك ايامًا فسألهُ المأمون عنهُ يومًا فذكر لهُ ما هو فيهِ من الصَّلف والتيه والافتخار بالبرامكة وانَّهُ لا يزال يذكرهم ويترحَّم عليهم. فامر باحضارهِ فأُحضر على تلك الحال واقبل عليهِ بالتوبيخ معنِّفًا

تُرأيه ويذكره ما تقدّم من قدره ويعظم في عينه احسان ابن ابي خالد. فقال لهُ : يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك لقد وضعتَ من البرامكة غير موضوع وصغَّرت منهم غير مصغَّر وذممت غير مذموم وقد كانوا شفاء ايّام دهرهم وغياث جدب عصرهم ومفزعاً للملهوفين وملجأ للطالبين فان أذن امير المؤمنين حدَّثتهُ ببعض اخبارهم ليعلم صدق قولي في تفرّدهم في عصرهم بالايادي النفيسة. فقال لهُ : هاتِ وأوجز. فقال : ليس بانصاف وانا في القيود. فامر بفكّ قيوده. فقال : يا امير المؤمنين ألمُ الجبّة حائل بيني وبين حلو الحديث ومانعٌ لي من الوقوف على غرَره. فامر بخلع الجبّة عنهُ وان يُخلع عليه ثمّ قال لهُ : هات حديثك. فقال :

يا امير المؤمنين كان ولائي ليحيى وانقطاعي للفضل ابنهِ. فقال لي الفضل يوماً بحضرة ابيه واخيه : يا محمد احبُّ ان تدعوني دعوةً كما يدعو الصديق صديقهُ. فقلتُ لهُ : حالي تصغر عن ذلك وتضيق به ومالي يعجز عنهُ وهيأتي لا تقوم به. فقال لي : دع عنك فلا بدَّ منهُ. فأعدتُ عليه الاستقالة والاستعفاء فرأيتهُ مصمّماً. فاقبلتُ على ابيه لائذاً ومستعيناً به واستعنتُ باخيه جعفر فاقبلا عليه وسألاهُ ذلك واعلماهُ بقصور يدي عن بلوغ ما يحبُّهُ ويشتهيه. فقال لهما : لستُ بقانع منهُ دون ان يدعوني واياكما لا رابع معنا. (قال) فاقبلا عليَّ وقالا : هذا قد ابى ان يعفيك وان لم يكن الامرُ ألّا لنا فلا حشمة بيننا أقعدنا على اثاث بيتك فأطعمنا من طعام اهلك فنحن بذلك قانعون. فقلت للفضل : ان كنت قد عزمت على ذلك وأبيت ألّا فضيحتي فلا بُدَّ من ان تؤجلني اجلاً اتأهّبُ فيه لكم. فقال : استأجل لنفسك ما تريد. فقلتُ : أجلني سنة. فقال : ويحك او معنا امان من الموت لسنة. فقال يحيى : ويحك قد افرطتَ في الاجل ولكني احكم عليكما بما ارجو ان لا يردَّهُ ابو العبّاس فاقبلهُ انت ايضاً. فقلت : احكم جعلني الله فداك ووفقك للصواب وتفضّل عليَّ بالفسحة في المدّة. فقال : قد حكمت بشهرين. فخرجتُ من وقتي وبدأتُ بِرمّ منزلي واصلاح آلتي وشراء ما اتجمّلُ به من فرش واثاث وغير ذلك وهو مع ذلك لا يزال يذكّرني حتى اذا كانت الجمعة الذي تنجز فيها الوعد قال لي : يا محمد قد قرب الوعد ولا احسبُ قد بقي الّا عمل الطعام. فقلتُ : نعم جعلني الله فداك. وامرتُ بالطعام فأصلح بغاية ما تناله يدي ومقدرتي وجاء في رسولهُ عشيّة اليوم الذي صبيحتهُ الوعد فقال : هل تأذن في البكور. فقلت : نعم جعلني الله فداك

فبكّر الي هو وجعفر ويحيى وسائر اولادهم وفتيانهم . فلمّا دخلوا اقبل عليّ الفضل فقال: يا محمّد اوّل شيء ابدأ به ان انظر الى نعمتك صغيرها وكبيرها فقُمْ بنا حتى ادور عليها فاحتاط بها علماً . فقمتُ وقام وهما معهُ حتى طاف المجلس ثمّ خرج الى الخزائن ثم الى بيت الشراب وخرج منهُ الى الاصطبل ونظر الى كبير نعمتي وصغيرها . ثم عدل الى المطبخ فامر بكشف القدور وعَرَض كل ما اصنع من الطعام قدرًا قدرًا ثم اقبل على ابيهِ وقال: هذا اللون الذي يعجبك ولستَ ببارحٍ دون ان تأكل منهُ . ودعا برغيف فغمسهُ في القدر وناولهُ اباهُ ثمّ فعل باخيهِ كذلك ثم امر غلمانه برفع القدور واكل ما فيها

فلمّا رأيتُ ذلك ضاقت عليَّ الدنيا وقلتُ: ما العمل هذا شيء اجتهدتُ فيهِ ولا يمكنني استئناف عمل طعام آخر . فقال لي الفضل: نحن نقنع منك بما في منزلك من طعام اهلك . ثم دعا بالخلال وخرج الى صحن الدار فادار بصرهُ في جنباتها وسقوفها واروقتها ثم قال لي: يا محمد مَن بجوارك . فقلتُ: جُعلت فداك فلان التاجر عن يميني وفلان الكاتب عن شمالي وخلف ظهري رجل قد ابتاع خربة فهو في بنيانها لا يبرح .

قال لي: أفتعرفهُ . قلت: لا . قال: كان الأليق بحالك منّا ان لايجترئ عليك رجل ويشتري بقربك شيئاً الّا بامرك ولاسيما اذا كان ملاصقاً لك . فقلتُ: ما منعني من ذلك الّا ما كنت فيهِ من الاشتغال بهذه الدعوة المباركة . قال: فاين الحائط الذي يتّصل بدارك .

فأومأتُ الى موضع من الدار . فقال: عليَّ بنجّار . فاتي بهِ . فقال لهُ: افتح هاهنا باباً . فاقبل عليهِ ابوهُ وقال لهُ: نشدتك الله يا بُنيَّ لاتهجم على قوم لم تعرفهم . واقبل عليهِ اخوهُ بمثل ذلك فأبى الّا فتح الباب وخفتُ مغبّة ذلك ولم اجتر على الكلام بعد ان ردَّ اباهُ واخاهُ . ففتح الباب في الحائط ودخل منهُ ثم بعث الى ابيهِ واخيهِ أنِ ادخلا: فدخلا فاذا في وسط الدار فتى جالس على سرير وعلى رأسهِ عشرون غلاماً كأنّهم الدنانير بالمناطق المثمّنة . فقاموا باجمعهم بين يديهِ فدخل الدار وطاف في مجالسها وخزائنها فوجدها مشحونة بآلة الملوك من الفرش والاواني فاقبل عليَّ وقال: يا محمد أيّما احسن هذه ام دارك . فقلت: اصلح الله الوزير والله ما رأيتُ مثل هذه الدار وانها لا تليق الّا بك .

قال لي: اتحبّ ان تكون صاحب الدار ويكون مالكها عبداً لك . فقلت: جُعلت فداك من اين لي ذلك . قال: اعلم انك لمّا نهضت من بين يديّ ساعةَ سألتك دعوتي امرتُ غلامي بشراء هذه الخربة وبنائها واتخاذ كل ما ترى فيها وقد وهبتُها لك بكل

ما فيها. يا غلام هات ما عندك من الطعام. فأتي بطعام ما رأيتُ مثلهُ فجعلوا يأكلون

ثم نظرتُ الى جعفر فرأيت الكآبة بادية على وجهـهِ وقد التفت الى ابيهِ وقال: يا ابتِ اعزَّكَ الله لا ازال اشكو اخي ابا العبّاس اليك ولا تنصفني منهُ أفترضى لهُ ان يختصَّ بهذه المكرمة دوني ويضنَّ بمشاركتي اياهُ. فاقبل يحيى على ولدهِ الفضل وقال: يا بني لقد كنت اولى ان تشرك اخاك في هذه النفيسة. فقال لهُ: جُعلت فداكَ والله ما تفرَّدتُ بها دونهُ ولا استبدَّيت بها دونهُ ولقد تركتُ لهُ صَفوها. فقال: ما هو وقد قُضي الامر. فقال الفضل: انَّ محمدًا هذا رجل قليل ذات اليد لا مال لهُ ولا ضيعة عندهُ تقوم بهذه الدار ومتى خُلّي بينهُ وبين هذه الدار وهؤلاء الغلمان لم يقوَ على ذلك وكان ذلك مضرًّا بحالهِ وضيعتك الفلانيَّة مشاكلة لهذه الدار فأوهبها لهُ ليقوى بها على امرهِ. فقال لهُ جعفر: صدقت لقد فرَّجت عني. يا غلام هاتِ كتاب الضيعة. فسلَّمهُ اليَّ وقام يحيى فضمَّ ولديهِ الى صدرهِ وقبلهما وقال بأبي انتما وبنفسي اقيكما لا اخلاكما الله من مزيد بسطة ونعمة جليلة ولا اخلاني فيكما من دوام العافية وطول العمر واجتماع الشمل.

(قال) فبكى المأمون عند استماعهِ ذلك وقال: والله لقد برزَ القوم في فضلهم وسبقوا بمجدهم انك لجدير يا محمد ان تطنب فيهم. وامر بردّ نعمتهِ عليهِ وامر لهُ بالف دينار

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

في شيوخ اليزيدية واصحاب الرُّتب عندهم

(الكوچك) انَّ اليزيديَّة يعتبرون الكوچك بمنزلة نبيٍ. وزد على ذلك ان الكوچك اذا اراد ان يتنبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الارض ثم يُدَمدم فيرنّم فيغني فيروي للحاضرين ما تراءى لهُ في الرؤيا النبويَّة ويقول: «اني اعرف كل ما حدث في العصور الحالية والوقائع الماضية من أيام آدم وحوَّاء الى يومنا هذا. والكوچك ايضًا بمنزلة الطبيب عندهم فانهُ اذا سمع بمريض واحدٍ يعودهُ للحال ليصفَ لهُ الدواء المناسب لدائهِ وكيفية استعمالهِ. وهذا الدواء هو واحد لا يتغيَّر وان تغيَّرت العاهات والادواء. وهذا الإساء العام هو «تراب» من المزار الفلاني او الفلانيّ حسب اختلاف المرض.

وهذا التراب يضمّهُ الكوجك نفسهُ في الجبهة او على بطنهِ او على صلبهِ او ما بين كتفيهِ بموجب حالة المرض ونوعيّتهِ

امّا (القوّال) فليس من الذين يُقلَّدون المناصب الدينيَّة بأيَّة خصوصيَّة بل هو بمنزلة المغنّي او المرتّل عند النصارى ليس إلّا

امّا (البير) فلا يُحتفل بتنصيبهِ بنوعٍ خصوصيّ بل يُشترط ليكون كذلك ان يكون من سُلالةٍ بيريَّة فهي اذاً وظيفة وراثيَّة والبيرود (جمع بير) كلهم امّيُّون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة إلّا عُزمة واحدة من هذه السلالة تسكن بَعْشيقًا وهي قرية واقعة في حضيض جبل «مقلوب». ولها وحدها بين جميع اليزيديَّة من هذه البلاد او من البلاد الاجنبيَّة الحق والامتياز ان يتعلّم فيها الابناء القراءة والكتابة. واذا كان الابناء عديدين فالبكر وحدهُ يحقُّ لهُ الامتياز بذلك الإنعام ليكون بمنزلة الفقيه او المُنلا الاكبر عند البير او الامير الاعظم. والكتاب الذي يُطالع بهِ هذا الفقيه هو «مصحف رش» المذكور سابقًا. وهذا مؤكد لا ريب فيهِ بل لا يختلف في امر صحّتهِ اثنان من اليزيديَّة. امّا ما قالهُ الفاضل ثيتال كينه: «ولا يُعرف في اي كتاب مقدَّس يطالع فيهِ هؤلاء المحظوظون. وقد علم الأديب ليَرد (Layard) من الشيخ الاعظم انهُ يوجد كتاب خصوصي مرقوم على صفيحة من خشب» فلا ثبت لهُ (V. Cuinet, p. 774) فانَّ مصحف رش مكتوب على الرقّ وهو مُصحف لا دَرْج

وفوق البير يوجد (الشيخ الاعظم) ورتبتهُ وراثيَّة ايضًا وهو بمنزلة حبر الأحبار وسائر الاحبار هم بقيَّة الشيوخ. ومقرُّهُ في «قرية الشيخ عادي» وهي بُليدة قريبة من باعدري. وبيد هذا الشيخ العقد والحلّ الامر والنهي في كل ما يتعلّق بالشؤون الدينيَّة يأتيهِ اليزيديَّة من جميع الانحاء والاصقاع ليستفتوهُ

ويعتقد اليزيديَّة ان أجداد الشيوخ الموجودين اليوم احياءً على الارض نزلوا من السماء شيوخًا أنبتَّة فيهم انواع الفضائل التي تميّزهم بعضهم عن بعضٍ وكلّ عُزمةٍ من هؤلاء الشيوخ تمتاز باجتراح نوعٍ من الآيات والعجائب لا يجترحها من كانوا من غير تلك العزمة. والدليل عندهم على ان هؤلاء الشيوخ نزلوا من السماء بهذه الاوصاف هو ان منهم من يلقَّب بالشيخ ناصر وان جدَّهُ الشيخ شرف الدين وهو القمر عندهم. ويلقَّب جدّ شيخٍ آخر آمادين وهو عماد السماء والدين. ومنهم من يلقب جدُّهُ بشيخ

الشمس. اما سُلالة الشيخ مَنت فقد مُنحت ان تؤتي العجائب والخوارق في رصد الحيّات والعقارب اي رَقيها. ويزعمون انهم اذا مسكوا الحيات الخبيثة لا تؤذيهم وهم يأكلون لحومها. والبعض من هولاء الشيوخ يُلقَّب بالشيخ المهدي. ويدَّعون بان منهم يأتي المهدي او المسيح الدجّال. ولسلالة هذا الشيخ قوة وهي انهُ اذا حدث وباء او طاعون او نحو ذلك من الامراض الوافدة جاء الشيخ القرية ورسم بالفدّان دائرة حولها زاعمًا بذلك انهُ افتداهم من هذه الاوبئة فلا تعود تفتك بهم لأنهُ قدَّم نفسهُ قربانًا للطاووس الملك. بل وبعض الاحيان هذا الطاووس يعفو عنهم بدون توسُّط الشيخ اذا رأى ذلك مناسبًا لامرهم

ولكلّ شيخٍ من شيوخ اليزيدية مُريدون اي محبون لهُ ويحسنون اليهِ. فاذا كان لذلك الشيخ مُريدون كثيرون واغنياء عديدون كان الشيخ بذات الحال غنيًا. واما الذين مُريدوهُم فقراء او قليلون فتكون عيشتهم عسرة منغَّصة. لان العادة عندهم ان كل شيخٍ يطوف مرّتين في كل سنةٍ على مريديهِ فيجمع منهم غنمًا وبقرًا وسمنًا وصوفًا ونحو ذلك اذا كانوا من اهل الضَرْع. والّا فيجمع حنطةً وشعيرًا وقطنًا وارزًا اذا كانوا من اهل الزَرع. وبُسطًا وملاءاتٍ اذا كانوا من الكواجر اي من الرُّحل ونقودًا اذا كانوا من الاغنياء. وكل من لا يُرضي شيخهُ يُحرَم واذا أُبسِل يُعدُ كسَقَط المتاع الذي لا يُشرى ولا يُباع ولا يُكالمهُ احدٌ ولا يؤاكلهُ يزيديٌّ طالما يكون في هذه الحالة (١. ومن شيوخ اليزيديَّة من يُلقَّب بشيخ جَرْوَه وخوارقهُ متوقفةٌ على طَرد العقارب بقوّة الماء. فانهُ يَقرأُ عليهِ بعض صلواتٍ ثم ينضحهُ في زوايا البيت فيعوض اهلهُ عن تعبهِ بان يدفعوا لهُ دراهم غير قليلة. ومن هؤلاء الشيوخ من يلقَّب « بشيخي دِيكله » اي شيخ الديك فهذا مهنتهُ ان يجول القُرى وفي اي بيتٍ وجد دجاجة مكركة (رنقاء) اخذ منها فرّوجًا واحدًا. فيجمع بهذه الصنعة اكثر من ٣٠ فروجًا من كل قريةٍ فيبيع كل واحد منها بغرشين او ثلثة غروش صاغ

ولكل واحدٍ من اليزيديَّة شيخ خصوصيّ وپير خصوصيّ يكون لهُ بمثابة الاخ في الآخرة ويُقال لهم بلسنهم « براي آخرَت » اي « اخ الآخرة » فاذا مات اليزيديّ يجيء شيخهُ ويغسّلهُ ويكفّنهُ ويدفنهُ. ويكون الپير لهُ في بادية الآخرة اخًا والشيخ دليلهُ

١) وليس الافراد فقط تُحرَم وتُرشق بسهام الإبسال بل المشائر لا بل الاموال نفسها مهما كان جنسها

في ذلك السبسب او البسبس. وهذا الشيخ قد مهر في هذه الصناعة لأنهُ تلقَّنها عن جدهِ الذي نزل من السماء فحينئذٍ يرشدهُ ويهديهِ في الطرق والاودية المؤدية الى الجنَّة. «وبراي آخرَت» يرافقهُ ويشجعهُ لئلا يضل جهلًا او خوفًا. لكن يا للعجب العجاب ان للمير نفسهِ لا بل وللامير ذاتهِ بل ومن العجب العجيب ان للشيخ عينهِ بيرًا خصوصيًّا وشيخًا خصوصيًّا لهذهِ الغاية. فيا لهم من متبصرين عني وهذا من اغرب الاضداد

هذا من طرف الرئاسة الدينيَّة اما من جهة الرئاسة الدنيويَّة فان لليزيديَّة ميرًا وهو الامير الاعظم ويدَّعي امراء هذه السلالة انهم من نسل يزيد الابن الحبيب للطاووس الملك فان المير الحالي هو من أُسرة حسن بك واسمهُ ميرزا بك ولهذا الامير تؤدَّى جميع الخيرات والارزاق والاموال والجبايات ولهُ تُنقد النقود في الايام المعيَّنة وبالوسائط المرتَّبة عندهم من قديم الزمان كوسائط السناجق التي مرَّ ذكرها وهذه السناجق مضبوطة اليوم بيد الحكومة منذ ايام عمر باشا. وكانت سلطة هذا الامير تمتدّ الى جميع رعيتهِ إنْ في البلاد العثمانيَّة وان في البلاد الاجنبية ومقرُّهُ في قصر عظيم في باعدري على حدود دُهوك وهي قرية تبعد عشر ساعات عن الشمال الشرقي من الموصل. وسلطتهُ مطلقة ويُوصلها الى مرؤوسيهِ بواسطة رجال تحت امرهِ وهؤلاء الرجال يبلّغونها الى رعيّتهِ المنتشرين في جميع البلاد. وكانت الدولة العثمانية تعتبر هذا المير الاعظم اميرًا مطلق السلطة حتى سنة ١٨٧٥ وكان لهُ حقّ الحياة والموت على سوقتهِ. اما اليوم فقد نُزعت من يديهِ هذه القوَّة واصبح تُباعهُ تحت الحكومة العثمانية ان كانوا من رعاياها. ودعاوي اليزيدية تُرفع اليوم الى مجلس البداية امام مدير باعدري ان كانت دعاويهم تدخل في دائرتها

المحرَّمات عند اليزيديَّة

من المحرَّمات عندهم كلّ التحريم الصلوات العموميَّة. اما الصلوات الخصوصية فهي وان كانت ايضًا محرَّمة شرعًا فانها تُستعمل فعلًا في أعمال خصوصيَّة او يستعملها الافراد كلٌّ على حدتهِ كما تقدَّم القول. والبيورة يتملّسون الصلوات شفاهيًّا خلفًا عن سالفٍ ولا يجهرون بها بل يدمدمون بها دمدمةً. ومن المحرَّمات ايضًا تعلّم القراءة والكتابة ويُستثنى من ذلك أُسرة البير الاعظم كما ذكرناهُ في محلهِ. ويُحرَّم من اللحوم لحم الخنزير وحدهُ بخلاف ما ذكرهُ بعض الكتبة اذ قالوا انهُ محلَّل عندهم. ومن الاطعمة كل ما ذكرناهُ في باب طرائقهم وعقائدهم. وربَّما وُجد بينهم قومٌ يأكلون اللوبياء. اما

الخس ولحم الخنزير واللهانة (الكرنب او الملفوف) فروثها وحدها عندهم حرام. وبالاخص الخس فانهُ عندهم من اخس ما خلقهُ الله على وجه الارض. ومجرد رؤيته حرام. حتى اذا ارادوا ان يعنوهُ قالوا: « ذاك الوحش ؟ ؟ ». ولا يأكلون السمك على اختلاف انواعه لانهم يقولون ان يزيد حين برح بلدهُ طالباً بلاد اليزيدية انتظم السمك تحت اقدامهِ انتظاماً عجيباً حتى انهُ تمكّن من المشي على ظهورهِ في البحر الى ان وصل البرّ فزال حينئذٍ من تحت أقدامهِ الشريفة

ومن المحرَّمات عندهم انهم لا يشربون من كوز او جرّة او قارورة تُبقبق لانهم يزعمون ان ما يبقبق هو روح حيّة موجودة فيها

ويُحرَّم عليهم حلق الشوارب واستئصالها بالمقص بخلاف اللحية فيجوز كل ذلك لكن يجوز ان تُحفى الشوارب ويُستحبّ ان تُعفى اللحى. بخلاف ما قالهُ صاحب معجم الاديان انهُ يحرَّم عليهم حلق اللحى والشوارب (ص ١١٢٥) والقاعدة المطّردة عندهم ان تحلق عامة الرجال لحاها وتُعفي شواربها. امّا الشيوخ من العامّة فلا يجوز لهم ذلك بل من المحتوم عليهم ان يُعفوا الشوارب واللحى. ويُحرَّم عندهم ايضاً البصاق بصوتٍ يخرج من الفم او الشفتين لانهم يتخذون ذلك شتماً للشيطان ويؤوّلون غاية الباصق بهذه الصورة توجيه التفلة الى الطاووس الملك

ويُحرَّم على اليزيدية لبس الثياب الزرقاء ويُحلَّل لهم بل ويلزمون بلبس الثياب البيضاء ان كانوا من العامّة ولبس الثياب السوداء اذا كانوا من خدمة الدين. وقد تقدّمت الاشارة الى ذلك. ويقولون بهذا الخصوص انَّ الأبيض يمكن ان يصبغ باللون الازرق. امّا الازرق فليس لهُ هذه الخاصّة ووراء ذلك معنى وهو ان كل من يولد خارجاً من الديانة اليزيدية لا يمكنهُ ان يصير يزيدياً كما ان الازرق لا يمكنهُ ان يكون ابيض. امّا اليزيدي فيمكنهُ اذا حاد عن طريقهِ ان يتديّن بديانة اخرى كما ان الابيض يمكن ان يُصبغ بلون آخر. ولا يجوز لهم ان يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف لكن ذلك يجوز بعد قضاء الحاجة. ولا يقضون الحاجة الطبيعيّة في المحلّ المبني لهذه الغاية اي في المستراح بل في الفضاء وفناء الدار ونحوهما. لانهم يزعمون ان غير اليزيدية يهينون الشيطان دائماً باقتكارهم البيّ. انهُ موجود في الكنيف فاذا دخلوهُ وقضوا الحاجة فيه يكونون كأنهم فعلوا ذلك على طاووسهم وهذا اثمٌ دونهُ كلُّ اثم.

اما الثياب الحمراء فليست محرَّمةً عليهم لكنهم لا يلبسونها إلّا قليلًا بخلاف ما قالهُ كينه (ص ٧٧٥) انها محرَّمة عليهم

الملبوس والزيّ عندهم

ان ملبوس الرجل ثوب ابيض يُزرُّ من الوراء وصدرهُ مجوبٌ جوبًا مستديرًا الى الثندُوتين ويفعلون ذلك تلميحًا الى النور الذي نزل على الشيخ عادي بهيئة قُرص مستدير بعد ان صام ٤٠ يومًا. وهذا الجوب يُسمَّى « طَوق يزيد ». وما عدا الثوب يلبسون سراويل بيضاء ايضًا على هيئة الشِروال السوريّ. واماً عَمرتهم اي ملبوس الرأس عندهم فهي عمامةٌ بيضاء صغيرة الحجم ويتمنطقون بمنطقة من النسيج مهما كان لونهُ. ويلبسون في ارجلهم الكالات(١). والنساء يلبسن دِشداشة . طويلة(٢) وتحتها سراويل. وعليهنَّ ملحفة تُسمَّى عندهنَّ: « ميزَر » وهي تصحيف مئزر العربية وتُلبس الملحفة بارسال الطرف الواحد منها تحت الابط الأيسر واخراج طرفها الآخر من الجهة الآخرة حتى يلتقي مع الطرف الآخر على الكتف من اليمنى ثم يُعقد ويترك الجانب الايمن من المرأة من فوق الى تحت غير محجوب. والفقيرات من النساء يمشينَ حوافي. واماً اذا كنَّ غنيَّات فيلبسنَ في أرجلهنَّ الأجداك (٣). واماً عَمرة النساء فهي عبارة عن شيء يشبه عمامة الرجل لكن بوَضعٍ خصوصي بهنَّ. وهي تكون بيضاء او سوداء كل امرأةٍ بحسب

١) الكالة كلمة بغدادية قديمة الوضع. يُراد بها الحذاء التي يُتَّخذ وجهها من الخيف او من كلّ نسيج غليظٍ وبالأخصّ نسيج القطن والصوف والكتّان والكلمة فارسيّة معناها الاصليّ: الانسجة المختلفة ولاسيَّما الغليظة فسُمّي الشيء باسم ما يُتَّخذ منهُ وهي بالفرنسيّة (Espadrille ou Alpargate)

٢) الدشداشة الدُرَّاعة تُتَّخذ من القطن وهي كلمة عراقيّة مشهورة ٣) الأجداك جمع جِدكٍ وهي جُزمة النساء مع بابوجٍ فوق الجزمة. ويُميّز اهل بغداد بين الجزمة والجدك. فالجزمة تكون من أديمٍ أحمر او اسود. ومعنى الأديم الجلد المدبوغ مرةً ثالثةً. وهي لا تكون الّا للرجال. اماّ الجدك فهو من اديمٍ اصفر وقد يكون من أنيق اصفر الأنيق هو الجلد المدبوغ مرَّةً ثانيةً ولا تلبسهُ الّا النساء. وفوق الجُزمة لا يُلبس شيء. واما فوق الجدك فيُلبس بابوجٌ خاصٌّ بهِ. والجُزمة كلمة تركيَّة. وكذلك الجدك. وهذه اللفظة منحوتة من « إيچ إدك » اي الخفّ الداخليّ. وللجدك والجزمة اسم واحد عند العرب وهو المَوزَج او المَوق. اماّ الخُفّ الذي يُلبس فوق المُوق او الموزجٍ فاسمهُ عندهم الجُرْموق. وكلا الموق والموزج معرَّب مُوزه الفارسيَّة ومعناها الخف. والجرموق معرَّب سرموزه بالفارسية ايضًا ومعناها: (ما يلبس) « فوق المُوق ». والجزمة والجدك معروفان بهذين الاسمين وبهذين المعنَيَين عند اليزيديَّة. فاحفظهما

اختيارها . والسوداء تُسمَّى عندهنَّ پوشي (Pochi) وهي عندهم نقل كلمة پوشو التركيَّة ومعناها عمامة خفيفة كان يعتمُّ بها الجنود العثمانيَّة وپوشو التركيَّة مأخوذة من پوشيدن الفارسية ومعناها غطَّى او ستر او لبس (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر اخيهم الامير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجّي

وهو الثالث من اولاد جمال الدين (١ . كان احد الامراء الذين اسرهم الفرنج ليلة تزولهم على الدامور وكان قتلهم لاخيه فخر الدين عبد الحميد في تلك الليلة وهي ليلة الاربعاء الثامن من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م) واقام في الاسر خمسة ايَّام ثمَّ استفكُّوهُ بمبلغ ثلاثة آلاف دينار صوري(٢ على يد ناصر الدين الحسين وسنذكر ان شاء الله تعالى كيف اسرهُ الفرنج في ترجمة اخيه عبد الحميد بعد هذه الترجمة . وتزوَّج عبد الله المذكور ابنة سيف الدين غلَّاب بن معن وغلَّاب هذا كان والدهُ علم الدين سليمان الرمطوني الآتي ذكرهُ ان شاء الله . وعبد الله كان ركبتهُ ديونٌ كثيرة على ما ذُكر وربَّما كان ذلك في وقت أسرهِ الفرنج . وربَّما كان عليهِ ديون سلفًا لناصر الدين الحسين لانَّ ناصر الدين اخذ اقطاع عبد الله بعد وفاتهِ واعطاهُ اخاهُ علاء الدين عليَّ ابن سعد الدين وكان لعبد الله خلفٌ أحقّ واولى من علاء الدين المذكور . ولم اقف لعبد الله على تاريخ وفاة ولكن يُستدلّ على تاريخ وفاتهِ من منشور علاء الدين . وتاريخ هذا المنشور العشرون من ربيع الاوَّل سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) جهات اقطاعهِ بامرة اربعة (79[٣]) نصف قدرون ونصف زمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور

---

١) جاء في حاشية للمؤلف: «كان يجب ذكر عبد الله قبل اخيه شجاع الدين لانَّهُ ثالث وُلد جمال الدين وشجاع الدين هو الرابع فحصل السهو في ذلك . وفي المنشور المذكور تعيَّنت سنة وفاة عبد الله وهي السنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م)

٢) الدينار الصوري ضُرب في صور في ايَّام الدولة الفاطميَّة وكان من الذهب يساوي نحو خمسة عشر فرنكًا من النقود الحاليَّة

واسماء اولاد عبد الله : محيي الدين محمود ومجير الدين محمد . وجلال الدين وأمهم ابنة غلّاب

ذكر اخيهم الابر فخر الدين عبد الحميد ابن جمال الدين حجّي

هو خامس ولد جمال الدين . كان له ولاخيه عبد الله اوشية وزراعة بالدامور وكانوا يباشرون قدّنيهم وزراعتهم بها . فلمّا كانت ليلة الاربعاء الثامن جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م) جلس الاخان يتحادثان فقال عبد الله : انا خائف من نزول الفرنج علينا فيأخذونا أسرى . فقال عبد الحميد وهو لم يعلم ما قدّر له في الغيب : انا والله لا اسلّم نفسي اليهم ولا ادعهم يأخذونني اسيرًا . وكان الاخوان نويا صيد الحجل وتواعدا مع اخوتهم ان يحضروا اليهما في الدامور سحرًا ليتوجّهوا الى الصيد . فنزلت الفرنج في تلك الليلة وطرقوا عليهما الباب فظنّ الاخوان انّهم الجماعة المتواعدون للصيد فصرخا : ما حلّ الآن وقتُ التوجّه لصيد الحجل . فقال الفرنج : نعم حلّ . وفتحوا الباب فاخذوا عبد الله اسيرًا ومانع عبد الحميد عن نفسه حتى قُتل تمسّكًا بقوله لاخيه في اوّل الليل لئلا يحنث في قسمه . وبعد قتله عرفه الفرنج فندموا على فعلهم (١ . وقال كبير الفرنج : « خيرُ والدِ هذا وخيرهُ في باطني » (كذا) . وقُتل مع عبد الحميد مجاهد ابن ابي حسن وابن عمّ مجاهد ومعتب ابن ابي المعالي والحسين اخوه (79) من اهل ادميث . وبقي شمس الدين عبد الله معهم خمسة ايّام ثم باعوهُ بالقرب من خلدا كما ذكرنا . ومعرفة الفرنج لعبد الحميد بعد قتلهم له تدلّ على انّهم كانوا من فرنج الساحل قبل فتحهِ والله اعلم . وربّما بالغوا في ثمن فدية عبد الله لمعرفتهم به

فصل من هذا الباب

ويجب بعد ذكرنا الاخوة الخمسة اولاد جمال الدين حجّي ان نذكر اولادهم تبعًا لذكرهم ليكون ذكر الابناء تاليًا لذكر الآباء . ولمعاصرتهم ناصر الدين الحسين

ذكر حسام الدين عبد القاهر ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي

كان رجلًا عاقلًا حازم الرأي رغب في الدنيا فنال منها جانبًا كبيرًا وسُمّي بتاجر البيت وهو الذي عمر العليّة المعزوفة به وما تحتها وما حولها وهي العليّة التي تقدّم ذكرها

---

١) راجع كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٢٣٦

فقلنا أنَّهُ عثّرها في وجه عمارة ناصر الدين الحسين. وتزوّج حسام الدين عبد القاهر ضاجمة بنت فارس الدين معصاد ابن عزّ الدين فضائل في حادي عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (١٣٢٣م). ثم توفيت وتزوّج بعدها اختها شمسة بنت معصاد وهي امّ ولدهِ نجم الدين محمد واشتهرت بامّ نجم الدين وكانت زوجة اخيه جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد الآتي ذكرهُ بتلو هذه الترجمة ان شاء الله تعالى. وكان زواج حسام الدين لشمسة زوجتهِ الثانية في الرابع والعشرين من الربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨ م). وكانت وفاتهُ في نهار الجمعة التاسع من شوّال سنة ثلث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢م). وخلفهُ ابنهُ نجم الدين محمد ولم يعش طويلًا بعد والدهِ وقد رأيتُ باسمهِ حجّة بخطّ عزّ الدين جواد ابن علم الدين مكتوبة بعد وفاة والدهِ حسام الدين تاريخها شهر رجب سنة ستّ واربعين وسبعمائة (١٣٤٥م). والظاهر انّ نجم الدين محمّد لم يعتّر ولم اعرف من امرهِ شيئًا (80[٢])

ذكر اخيه جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد

كان عندهُ معرفة وفصاحة ولم ينشأ في البيت اقوى قريحةً منهُ في نظم الشعر وسُمّي شاعر البيت تزوّج شمسة بنت فارس الدين معصاد فلمّا توفي عنها تزوّجها اخوهُ حسام الدين كما سبق. وشمسة المذكورة هي الجدَّة (١ امّ الوالدة. اخبرتني عن جمال الدين حجّي المذكور أنَّهُ كان في بعض لياليهِ بعد اضّجاعهُ على الفراش للنوم ينظم ارتجالًا ابياتًا عديدة من غير ان يكتبها ولم اقف على تاريخ وفاتهِ. ولكن توفّي قبل اخيه حسام الدين عبد القاهر. اخبرني الامير ناصر الدين محمد ابن جمال الدين المذكور انّ اباهُ توفّي مقتولًا قتلهُ اخوهُ حسام الدين بغير تعمّد. وكان الاخوان خرجا الى الصيد فاراد احدهما ان يرمي خنزيرًا بسهم نشّاب فصادف السهم اخاهُ فقتلهُ وكتموا الامر عن زوجتهِ شمسة بنت معصاد واظهروا لها انهُ وقع عن فرسهِ. وتزوّجها حسام الدين وعاشت بعد هذه الكائنة زمنًا طويلًا ثمَّ توفيت ولم تعلم بالامر ولم يتكلّم ناصر الدين محمّد بذلك الى بعد وفاتها (81[٢]) (٢

١) يريد المؤلف أنّها جدّتهُ ٢) هنا في النسخة الاصلية ورقة بيضاء لم تكتب كانَّهُ سقط من الاصل صحيفة وكذلك ينقص من ارقام الكتاب رقمان الّا اننا لم نجد خللًا في المعنى بين آخر صفحة (80[٢]) واول صفحة (81[٢])

ذكر اخيهما فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين

هو اصغر اولاد ابيه كان حسن السيرة محبوباً عند اقاربه وكان ناصر الدين الحسين ناظرًا اليه فزوّجهُ ابنتهُ وعمّر لهُ العلّيّة والبيت التي تحتها وهي ملاصقة لمارة ناصر الدين الى جهة الشمال بقرب و تُعرف الآن بعلية حسام الدين علي ابن عبد الحميد. وتوفي عبد الحميد الصبح من نهار الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). واسماء اولاده شهاب الدين احمد سمي جدّهِ وحسام الدين علي. واسماء بناته الكبيرة منهنّ ستّ الجميع امرأة بدر الدين موسى ابن زين الدين ابن ناصر الدين الحسين. والثانية زمرد امرأة جوبان بن ارسلان. والصغيرة نجيبة امرأة سيف الدين مفرج ابن جمال الدين احمد ابن سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف العرموني. وأُمهم بنت ناصر الدين الحسين

ذكر صفي الدين الحسين ابن شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجي

كان صفيّ الدين المذكور حسن الخلق والاخلاق لطيفاً في ذاته منطبعاً مع الناس كيّس الذات ذا كرم وسماحة محبّاً للفقراء وكاتباً بارعاً مع بلاغة. تزوّج بنت ناصر الدين الحسين التي عاشت بعدهُ مدّةً طويلاً ولحقت ايامنا وهي امّ اولاده. توفّي رحمهُ الله تعالى ليلة السبت من العُشر الاوسط من ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م). واسماء اولاده جمال الدين حجي. وشجاع الدين عبد الرحمان وشمس الدين عبد الحميد (82ᵃ)

فصل من هذا الباب

قلتُ وموجب تأخيرنا لذكر اولاد نجم الدين محمد وهو اكبر ابناء جمال الدين حجي انّهم صاروا بيتاً منفردًا وسمّوا بأمراء عيناب فلهذا أخّرناهم ليكون لهم ذكر خاص لانفرادهم عن اخوتهم

ذكر اولاد نجم الدين محمّد ابن جمال الدين حجي

وهم الامراء بعيناب وكانوا اربعة اخوة وامهم منْ بيت كباس من معيثنون. فالاوّل منهم سيف الدين ابراهيم ابن نجم الدين كان مشكور السيرة حسن السياسة وافر العقل مشكورًا عند اهل زمانه بعد ذمّ الناس لابيه. وجهات اقطاعه ربع بطلون. وربع

الطفرانيَّة ونصف القبّي ونصف بجوارة ونصف معيتون وربع الدُّوَير ونصف مزرعة اقطو (١. وفاتهُ رحمهُ الله نهار الجمعة الثاني عشر من ربيع الاوَّل سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م). وصار اقطاعهُ الى ولدهِ صلاح الدين خليل. فلمَّا توفي خليل صار اقطاعهُ الى سيف الدين ابراهيم بن خليل واستمرَّ بيدهِ الى ايَّامنا فنزل عنهُ للامير عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين عليّ بن جواد

والثاني من اولاد نجم الدين محمَّد جمال الدين يوسف وكان لهُ ولد اسمهُ عزّ الدين

والثالث من اولاد نجم الدين عماد الدين اسماعيل وكان لهُ ولد اسمهُ مجد الدين حسن وولد (82v) مجد الدين ابنًا اسمهُ شهاب الدين احمد واحمد هذا باع اقطاعهُ للامير ظهير الدين علي بن جواد ابن علم الدين الرمطوني وذلك قبل تنزُّل سيف الدين ابراهيم بن خليل عن اقطاعهِ لعزّ الدين الحسين ابن ظهير الدين بسنين كثيرة. ومن الاثنين المذكورين بطلت الإمرة من عيناب وكانت قد استكملت بيد عزّ الدين زيادةً على ما كان بيدهِ من الاقطاع فانَّ اقطاع والدهِ ظهير الدين كان قد اتَّصل اليهِ بعد وفاتهِ بما كان فيهِ من صنيع شهاب الدين احمد بن حسن ثم استكمل عزّ الدين النصف الثاني من سيف الدين ابراهيم لأنَّهُ كانت إمرة عيناب بيد شهاب الدين احمد وبيد سيف الدين ابراهيم مناصفةً دون اقاربهما بعيناب. ثم بعد ذلك ترك عزّ الدين عن بطلّون والطفرانيَّة وبجوارة لمبادل بن موسى المعروف بابن الحمراء.

والرابع من اولاد نجم الدين نورُ الدين محمود وهو اصغر اولادهِ ورزق نور الدين محمود ولدين وهما عزّ الدين حسن ومعين الدين محمد وكان نور الدين حسن السيرة واعطى امرتهُ بعض اقاربهِ

وهكذا جعلنا ذكر ذريَّة جمال الدين حجي بن محمد يتلو بعضها بعضًا (83r) ولم ندخل بينهم ذكر غيرهم. فلنرجع الآن الى ذكر الامراء بعرمون (ستأتي البقيَّة)

---

١) وفي تاريخ الاعيان ص ٢٣٦: رُبع اقطو

اللبن

للشاب الاديب الدكتور نجيب افندي اصفر

وهي نبذة انتطفناها من مقالة ضافية الذيل قدّمها جناب الكاتب يوم منحته اللجنة المؤلفة من اطبّاء فرنسيين وعثمانيين شهادة الدكتورية واثنت على براعته

انّ بين الأطعمة التي يتقوّت بها جسم الحيوان لغذاء ارشدتنا الى منافع الطبيعة او قل بالاحرى العناية الصمدانيَّة نفسها ألا وهو الحليب أودعهُ الله ثديَ الأمهات ليجد فيهِ الاطفال طعاماً مريئاً وشراباً سلسبيلاً تقوم بهما حياتهم مدَّة اشهر متوالية

وليس الحليب قوت الاحداث فقط بل يعدُّ من افضل اطعمة الناس على اختلاف اعمارهم لما فيهِ من الموادّ المُغذية اللائمة لامزجة الابدان. وزد على ذلك انَّهُ يدخل عند الاطبّاء في سلك الاغذية العلاجيَّة (aliments médicamenteux)

بيد انّنا رأينا قوماً يتأفّفون بالحليب ويجدون فيهِ تفاهة تصدُّهم عن الاغتذاء بهِ او ثقلًا تأباهُ معدتهم. فأخذنا نبحث عن خواصّ اللّبن لعلَّهُ يقوم مقام الحليب وعدَّدنا الاختبارات لتتبيَّن مفاعيلهُ في جسم الاصحّاء والمرضى فأدَّت بنا دروسنا الى وضع هذه المقالة وفيها نشرح خواصّ اللّبن وتركيبهُ وكيفيَّة اصطناعهِ ثمَّ مفاعيلهُ في جسم الحيوان الصحيح البنية وفي المصابين ببعض الامراض

١ (تعريف اللبن) اللّبن هو الحليب المختّر يعرفهُ الشرقيُّون منذ الزمن القديم حتى ان عرب الحضر والمدر يعدُّونهُ في لغتهم كرادف الحليب وهم يجعلونهُ كركن اطعمتهم مع لحوم المواشي. وهو مع ذلك شائع في كلّ بلاد الشرق نائيه ودانيه

٢ (تجهيزهُ) تجهيز اللّبن في بلادنا بان يعمد الاهلون الى كميَّة معلومة من الحليب يغلونها ثمَّ يدعونها تفتر حتى اذا سكنت حرارتها فامكنهم ان يمسوا اصبعهم فيها نحو ربع دقيقة (وقد بيَّن لنا الاختبار ان حرارة الحليب توازي حينئذٍ ٤٧ درجةً فوق الصفر) اخذوا روبة وهي الحليب الخاثر المتحمّض او خميرة فيلقونها في الحليب الفاتر المُغلى ولا بُدَّ من تحريك الروبة قبل صبّها في الحليب. ثمَّ يُخضخضون الحليب المروَّب ويجعلونهُ في محلّ دفيءٍ او يلفُّونهُ بأنسجة تحفظ لهُ حرارتهُ طول مدَّة اختمارهِ

امَّا قدر الرَّوبة اللازمة فيختلف على اختلاف كميَّة الحليب وعادة يتَّخذون في

كلّ رطل من الحليب (والرطل ٢٥٦٤ غراماً) ستّة او سبعة سنتيغرامات من الروبة . واذا كان الحليب حديثاً يُقتضى لهُ كميَّة اوفر من الروبة لترويبهِ وتخفَّف روبتهُ بقدر قدمهِ يوم او يومين . ولكن اذا مرَّ على الحليب اربعة ايَّام في الشتاء او يومان في الصيف فلم يعد يصلح للّبن وكذا الروبة اذا نقصت عن سنتيغرام واحد لا تعود تفي بالحاجة

ومن الامور المقرَّرة بالاختبار انَّ حليب المَعْز يختمر بسرعة وسهولة ويكفيه لاختماره ٣ او ٤ سنتيغرامات روبة اي نصف الكميَّة اللازمة لحليب البقر

وكذا تحقَّق ان اختمار الحليب بالروبة في ايَّام الصيف او المحل الدافئ اسرع منهُ في الشتاء او المكان البارد وذلك امرٌ شائع في كلّ صنف من الاختمارات وينتج عنهُ انهُ يكفي لتخمير الحليب في الصيف او في المساكن الحارَّة ما لا يكفيهِ من الروبة في الشتاء او المقامات الباردة

والملاحظات السابقة في تعيين كميَّة الروبة تصدق ايضاً في تعريف الوقت اللازم لاختمار اللبن بعد مزجهِ بالروبة . ومعدَّل هذا الزمان بين ٤ و ٥ ساعات لرطل من حليب البقر ذي حرارة تبلغ من ٢٣ درجة الى ٢٧

٣ْ (خواصهُ) للّبن خواصّ طبيعيَّة نختصرها بان نقول انَّ اللبن يشبهُ الرَّوب (اللبنة) الّا انَّ الكازئين (المادَّة الجبنيَّة) فيهِ ممزوجة بمصلهِ بخلاف الروب . وفي طعم اللبن حموضة خفيفة في اوَّل تجهيزهِ فاذا مرَّ عليهِ ٧ او ٨ ساعات او اقلّ في فصل الصيف صارت حموضتهُ حاذقةً . وهو من حيث مفاعيلهِ كبقيَّة الحوامض فاذا غمست فيهِ ورقاً من صبغ الرقيب (tournesol) الازرق احمرَّ للحال . ورائحتهُ كرائحة الحليب . ولونهُ ابيض مع صفرة خفيفة اذا لم يُنتزع عنهُ زبدهُ . امَّا اذا نُزع الزبد فلونهُ الى الزرقة . ويختلف لبن المعزى عن لبن البقر بسلاستهِ وطعمهِ الحاذق ورائحتهِ الخاصَّة بهِ وليس فيهِ قطع متجمّدة من مادَّة الكازئين كما في لبن البقر

٤ْ (تركيبهُ الكيمويّ) امَّا تركيب اللبن الكيمويّ فتحليلهُ كما يأتي اخذناهُ عن مقالة حسنة لاحد زملائنا في درس الطب[١] وهو قد حلَّل ٣٠ سنتيمترًا مكعَّبًا من اللبن :

١	مجموع الحموضة (SO^4H^2)	٤	غرامات	٤١
٢	الحامض الحليّ	٠	«	٥٥

(١) راجع N. Georgiadès : *Etude chimique de quelques produits indigènes*

٣ الحامض اللبنيّ	٧ غرامات	٣٦
٤ المادّة اللبنيّة (Lactose)	٤٦ 〃	٢١
٥ السمن	٣٦ 〃	٦٦
٦ المادّة الجبنيّة (Caséine)	٥٧ 〃	٩٨
٧ خلاصات	٩٣ 〃	٠٠
٨ الازوت	٤ 〃	١٠

وممّا يدخل في اللبن من الموادّ النافعة الپيتون (Peptone) وهو من نتائج الهضم الدالّة على فعل الحوامض في الاجسام الالبومينيّة عند الاختبار. الّا انّ الپيتون لا يظهر في اللبن الطري الّا قليلاً ثمّ يتزايد شيئاً فشيئاً بقدر ما يعتق اللبن فذلك ما يمنع المرضى من الانتفاع به لأنّهُ عند وفرتهِ يُخلّف اللبن فيُصبح سيّئاً للغذاء.

وقد وجدنا ايضاً بالتحليل قليلاً من الكحول في اللبن يبلغ مقدارهُ جزءا في المئة

٥ً (بكتريولوجيّة اللبن) فحصنا اللبن فحصاً بكتريولوجيّاً فأدّى بنا البحث الى وجود نوعين من العُصيّات الباشلُوسيّة احدهما يُشبه باشلُوس الحليب عُصيّاتهُ مكتنزة متحدّبة والباشلوس الآخر خاصّ باللبن وهو مستطيل ينبئ بخواصه ما يتكوّن في اللبن من الحوامض المختلفة

٦ً (مفعول اللبن في الاجسام الصحيحة البنية) احببنا ان نمتحن مفعول اللبن في بعض اصحّاء الاجسام فاختبرنا ذلك في جسمنا وجسم احد رفقتنا الدارسين فانقطعنا مدّة اربعة ايام عن كلّ اكل ما خلا اللبن فكانت نتيجة اختبارنا انّ في اللبن كلّ خواص الاطعمة المغذية فيمكن الانسان الصحيح الجسم ان يقتات به طويلاً دون ضرر. وكنّا بعد اتباعنا لهذه الطريقة على غاية ما نروم من الصحّة بل وجد رفيقي من اكله نفعاً اذ لم يَعُد يحسّ في معدتهِ بثقل الهضم كما كان يشعر سابقاً. امّا ما ظهر في البَول من تزايد الاوري (urée) في تلك المدّة فهو من مفاعيل شرب اللبن ولا بأس منهُ

وما زادنا ثقةً في اختباراتنا اننا وجدنا راعياً اسمهُ خليل ميخائيل من بسكنتا اغتذى باللبن وحدهُ مدّة سنين طويلة فكان متمتّعاً بتمام الصحة. ولمّا اقتُضي عليه ان يترك رعاية الغنم فينزل الى بيروت ويقتات من اطعمة اخرى لم يلبث ان يشعر بانحطاط في قواه كان ينسبهُ الى تركهِ اكل اللبن

ثمَّ اختبرنا مفعول اللبن والحليب في جسم الحيوان وذلك اننا اخذنا كلبين وبعد تصويمهما اشربنا احدهما ٥٠٠ غرام حليب والآخر ٥٠٠ غرام لبن ثم قتلناهما بعد ساعة فاذا بالاول لم يهضم من حليبهِ الّا ٢٠٥ غرامات وكان الثاني هضم ٣٣٠ غراماً ثمَّ عدَّدنا هذه الاختبارات ووجدنا انَّ الحيوانات تهضم اللبن احسن من الحليب. بل يختر ايضاً الحليب في معدة الحيوان بالاختمار فاستنتجنا انَّ اللبن اصلح للهضم وانسب للمعدة من الحليب

٧ً (مفعول اللبن في اجسام المرضى) عدَّدنا اختبارات اكل اللبن في اجسام كثيرين من المرضى الذين قدموا علينا في السنة الماضية فكانت نتيجة ابحاثنا كلها عائدة الى هذا المبدأ «انَّ اللبن يقدر يقوم مقام الحليب في كلّ الامراض التي يصف لها الاطبَّاء شربَ الحليب كاوجاع الكلى والمعدة وسوء الهضم والاستسقاء والبول السُّكري والاسهال وحمى التيفوس وغيرها». وللابن فضلٌ على الحليب لأنَّ معدة المرضى تتقبل اللبن بشهوة بخلاف الحليب الذي كثيراً ما يتقيَّأهُ المرضى. وفي كلّ هذه العاهات قد اكثرنا من فحص الاعراض بتدقيق وكرَّرنا الاختبارات التي قيَّدناها في مقالتنا المطوَّلة الافرنسيَّة. وانَّما اكتفينا هنا بالتلميح والاشارة لئلّا يضجر القرَّاء. والسلام

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رترڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

الكمنجة الافرنجيَّة

وعادتهم ان يشدّوا عليها اربعة اوتار اوَّلها من جهة اليمين وهو اغلظ الاوتار ملفوفاً عليهِ سلك دقيق من نحاس يجعلونهُ قرار الرست وثانيها وتر ارقّ منهُ يجعلونهُ يكاه وثالثها وتر ارقّ منهُ يجعلونه دوكاه ورابعها وتر او خيط مزدوج مبروم من حرير ارقّ منها يجعلونهُ نوى. والعمل في اخذ الابراج والارباع الباقية كالعمل في العود تؤخذ بالجسّ على الاوتار باصابع اليد اليسرى (١). ومنها:

(١) يظهر من هذا الكلام ان المؤلف لم يحسن معرفة الكمنجة الفرنجية فان اول اوتارها ليس

الكمنجة العربيَّة

يشدُّون عليها جرزتين من شعر الخيـــل احداهما وهي الادقّ من جهة الشـال اي شـال الآلة (١ ويجعلونها النوى والثانية وهي الاغلظ من جهة اليمين يجعلونهــا دوكاه واحيانًا رست و بقيَّة الابراج والارباع تؤخذ بالاصابع كما تقدم. غير ان هذه الآلة وان كان صوتها شجيًا مطربًا غير كاملة الترتيب واكثر الاحيان يضطر الموسيقي ان يأخذ ابراج القرار من الجواب كالعراق والمشـيران واليكّاه فيعملهنَّ من الاوج والحسيني والنوى اذ ليس محلّ لهنَّ في الآلة لعملهنَّ منهُ. واكثر اربابها يضطرون ان يحملوا معهم كمنجة ثانية قصيرة يجعلون الدوكاه منها بارتفاع النوى في الاولى. ولكن يستر منها هذه العيوب صوت بقية الآلات التي تصاحبهــا في العمل و براعة الذي يشتغل بها اذا كان منفردًا فيتجنَّب العمل من الابراج التي يعسر عليهِ اجراؤُها عليها . ومنها :

الطنبور

يربطون على عنقهِ دساتين من وتر على مكان كل برج وكل ربع ويشدُّون عليهِ

بشدودٍ على قرار الرست بل على برج اليكاه والثاني على الدوكاه والثالث على الحسينيّ والرابع على الحسينيّ الشدّ. اي

sol ré la mi

١ ٢ ٣ ٤

فيكون البعد الذي بين وترين البعد بالخمسة

١) يذكّرنا وصف المؤلف للكمنجة العربيــة آلةً من الآلات الطائرة الشهرة ألا وهي الرباب المعروف قديمًا في انحاء الغرب باسم Rebec وهو كالكمنجة يُحَسّ بقوسٍ. فجاء اسم هذه القوس في رسالة كنز التُّحَف على صورة « كمان ». ومنهُ اشتقَّت لفظة الكمنجة

امَّا الفارابي فانَّهُ لم يُشِر الى استعمال القوس ولعلَّها لم تكن معروفة في عصرهِ عند تحول المتنبّين فدونك ما كتب عن الرَّباب مختصرًا قال: « وهذه الآلة ... ربَّما استُعمل فيها وتر واحد وربَّما اثنان متساويا الغلَظ وربَّما استعمل وتران متفاضلا الغلظ ويُجعل ازيدهما غِلَظًا حالهُ في هذه الآلة كحال المثلث في العود وحال الانقص غلظًا ... كحال المثنى في العود ... وفي اسفلها قائمةٌ على خلقة دبية الطنبور... واول الامكنة (التي تخرج منها النغم) مكان السبابة وهو على تسع ما بين الانف وبين الحاملة (chevalet) والثاني مكان الوسطى وذلك على سدس ما بين الانف والحاملة والثالث مكان البنصر وهو على تسع ما بين مكان السَّبابة والحاملة والرابع مكان الخنصر وهو على عشر ما بين مكان البنصر وبين الحاملة ». ويظهر لك من ذلك ان البعد بين المطلق ومكان الخنصر ليس البعد بالاربعة بل انهُ ينقص عنهُ بكثير . فهذه الآلة اذًا كالكمنجة العربية او ابنتها غير كاملة الترتيب امَّا الدساتين فلا استعمال لها فيها

غالباً ثمانية سلوك من حديد فالاربعة اليمنى يشدونها يكاه والاربعة اليسرى يشدونها نوى والموسيقي وقت العمل يتناول كلّ ما يحتاجهُ من الابراج والارباع بان يجسّ السلوك الحديدية باطراف اناملهِ على الدساتين المربوطة على عنق الآلة. والطنبور يُعتبر من اتمّ الآلات الموسيقية واصلحها للعمل. ومنها :

(ذيل على فصل الطنبور)

لعلّ الطنبور الذي وصفهُ المؤلف نفس الآلة التي سمّاها ڤيلّوتو(Villoteau) الطنبور الشرقي لاشتمالها على ديوانين كاملين (راجع كتابه Description de l'Egypte, t. XIV p. 273) وقد وصف هذا المؤلف عدة طنابير اخرى منها الطنبور البلغاري (bulgare) المحتوي ديواناً ونصفاً ثم الطنبوران التركي والفارسي الكبيران المشتملان على اكثر من ديوانين ثم الطنبور الفارسي الصغير الى غير ذلك فيتبيّن من ثمّ اهميـة هذه الآلة بين آلات الطرب وما احرزت من رفيع المكان في بلادنا الشرقية. والحق يقال ان قدرَهُ عندهم قدر العود او ما يقرب منهُ فترى العامة بين الاتراك يطلقون اسم الطنبور على العود نفسه فيسمّونه « طنبوراً » ولنا في ذلك شاهد نؤثر شهادته على ما سواها وهي شهادة الفارابي الذي فاز بالسهم المعلّى في فن الموسيقى فاليك ما اوردهُ في شأن الطنبور قال : « وهذه الآلة قريبة في الشهرة عند الجمهور من العود واعتقادهم لها وألفهم لها يقارب اعتقادهم للعود وألفَهم لهُ » وقال ايضاً عند وصفه الطنبور وعدد اوتاره واجناسه :« وتيان هذه الآلة اكثر الامر يستعمل فيها من الاوتار وتران فقط وربما استعمل فيها ثلاثة اوتار غير انهُ لما كان الاشهر فيها استعمال وترين اقتصرنا اولاً على ذكرها بوترين. والذي يُعرف منها الاشهر في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا — (يريد الشام) — صنفان من الآلة صنفٌ منها يعرف بالطنبور الخراساني ويستعمل ببلاد خراسان وفي البلاد التي تتوغل الى شرق خراسان والى شمالها وصنف آخر يعرفهُ اهل العراق بالطنبور البغدادي ويستعمل ببلاد العراق وما توغل منها الى مغرب العراق والى جنوبهِ وكل احد من هذين الصنفين يخالف الآخر في خلقتهِ وفي عظمهِ . . . ولما كان البغدادي اشهر هذين في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا رأينا ان نبتدئ اولاً بالبغدادي . .

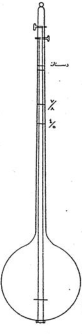
فنقول ان البغداذي يقسم وتراه المتوازيان من جانب الملوى — (وهو الوَتد في راس الآلة) — في اكثر الامر بخمسة اقسام متساوية تحدُّ نقط اقسامها دساتين تشدّ على مقبض الآلة بحيالِ كل واحدةٍ من نقط الاقسام وآخر دستان فيها مشدود على قريب من ثُمن ما بين الحاملة — (اي الفرس) — الى آخر ما يتحركُ منها من جانب الملوى». فيظهر من ذلك انهُ اذا سمّينا صوت مطلق الوتر يكاه كانت نغمة آخر دستانه ما يقرب من قرار نيم عجم اي ما يتجاوز الاربعة ارباع فقط. امّا ترتيب الوترين فالاكثر فيهم ان يجزقوا الوتر الثاني حتى يصير نغمة مطلقه مساوية لنغمة الدستان الثاني من الوتر الاول وهذه النغمة نسبتها ١٦/٢٠ اي اقل من ربع قرار حصار. قال الفارابي « وهذه تسويتها المشهورة ». واعلم ان الطنبور البغدادي اقلّ خطارةً وكمالاً من الخراساني. اليك ايضاً كلام الفارابي في وصفهِ قال :

« ان هذه الآلة اي الطنبور الخراساني يستعمل فيها وتران متساويا الغلظ . . ودساتينها كثيرة

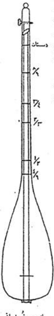
مشدودة فيها بين الانف الى قريب من منتصف طول الآلة . فمن دساتينها ما يلزم امكنة واحدة ومنها ما قد تتبدَّل امكنتها . والدساتين الراتبة على الاكثر خمسة . فاول الراتبة مشدود على تسع ما بين الانف وبين الحاملة — (اي في المثيران) — والثاني على ربع ما بينهما — (رست) والثالث على ثلث ما بينهما — (دوكاه) — والرابع على نصف ما بينهما — (نوى) — والخامس على تسع ما بين الحاملة والمنتصف (حسيني) — واما الدساتين التي تتبدل فهي التي تقع فيما بين هذه الخمسة . . .

وتسوية هذه الآلة ممكنة على انحاء كثيرة احدها ان نجعل نغمة مطلق الوتر الثاني مساوية لنغمة مطلق الاول . . . وهذه التسوية يسمّونها تسوية المزواج . . . وتسوية هذه الآلة المشهورة بان نحزق الوتر الثاني حتى يصير مطلقه مساوياً لنغمة الدستان الثالث (اي المثيران) والبعد اذًا بين مطلق الوترين بعد طنيني الى غير ذلك من التسويات كتسوية التجاري (بعد بين المطلقين خمسة ارباع tierce mineure) وتسوية العود (بعد بالاربعة quarte)

وهناك صورة شمسية صوّر فيها اعرابي من بادية الشام وبيده طنبورٌ خراساني يضرب به وبقربه طنبوران خُراساني وبغدادي



طنبور بغدادي



طنبور خُراساني


صورة بدوي يضرب بالطنبور
(عن صورة فوتوغرافيّة)

القانون

وهو من الالات التي هي في الطبقة العليا من الطرب (١ ومع ذلك فان العمل عليهِ سهل جداً ويكون صوتهُ كصوت آلتين تشتغلان معاً لان العامل بهِ في وقت العمل تكون جميع الابراج المحتاج اليها من قراراتها وجواباتها مبسوطة قدّامهُ ويداهُ متفرغتان للعمل يشتغل باليد اليمنى على ذلك الديوان وباليسرى على قرارهِ فيكون المسموع من الآلة صوتين جواباً وقراراً معاً. هذا مع ان كلّ برج منهُ يحتوي على ثلاثة اوتار فيكون عبارة عن صوت ست كنجات تشتغل معاً. واماً صفة دوزانه فقد جرت العادة بان يشدوا عليهِ اربعة وعشرين برجاً كل برج منها ثلاثة اوتار متساوية في الغلظ والدقّة ثمّ ان وتر كل برج يكون اغلظ مماً فوقهُ وارقّ مماً تحته وعلى الغالب يجعلون البرج الاعلى جواب الحسيني وبعضهم يجعلونهُ جواب النوى وهكذا يشدّون كل برج تحت الآخر على الترتيب اي اذا جعلوا الاعلى جواب الحسيني يجعلون الذي تحتهُ جواب النوى وتحتهُ جواب الجهاركاه وتحتهُ جواب السيكاه وهكذا ينزلون برجاً برجاً الى البرج الرابع والعشرين فيكون موقعهُ قرارُ قرارِ الجهاركاه وبمقتضى ذلك يكون القانون محتوياً على ثلاثة دواوين وثلاثة ابراج اولها من قرار قرار الجهاركاه الى قرار السيكاه وثانيها من قرار الجهاركاه الى السيكاه وثالثها من الجهاركاه الى البزرك ويبقى فوقهُ الماهوران والرمل توتي وجواب الحسيني

وهذا الترتيب يسمّونهُ دوزاناً سلطانياً يريدون بذلك انهُ مرتّب على ابراج صحيحة لا ارباع فيها فاذا ارادوا عمل بعض الالحان التي يُفسد فيها بعض الابراج يعمدون الى ذلك البرج الذي يُفسد بذلك اللحن فيشدّونهُ او يرخونه عن اصلهِ ويجعلونهُ ذاك الربع المحتاج اليهِ. مثل الاول لحن الحجاز فانهُ اذا كان قرارهُ الدوكاه يُفسد فيهِ برج الجهاركاه فيشدّونهُ حتى يكون حجازاً. ومثل الثاني لحن البياتي فانهُ يُفسد فيهِ برج الاوج فيُرخى حتى يكون عجماً

---

١) قد سمّاها الفارابي المزامير. ومنها ما تكون بانبوبةٍ مفردة وهي المعروفة بالناي (والناي كلمة فارسية معناها المزمار). ومنها ما تكون بانبوبتين كالدوني او اكثر. ويُجعل من بعضها الى بعض منافذ في امكنة منها مملوءة ويُنفخ في الاوسط. اماً الصرناي فانها ايضاً صنف من المزامير غير انهُ احدّ تحديداً من سائر اصنافها. وقد طالما يطرق صوتهُ سامعنا مصاحباً بدويّ الطبل في ايّام الاعياد واستعمالهُ شائع في بلاد تركية. وللصرناي صورٌ مختلفة في الكتابة واللفظ فيقال سرنايي وصورناي وسرناي وسورنا وزورنا وزرنا الى غير ذلك واصله من لفظتين اعجميّتين احداهما

— آلات النفخ —

وامّا الآلات ذات النفخ فانواعها كثيرة (١ منهـا الناي والكبروفت والزمار والصرناي والارغن والجناح وغيره وجميعها عدا الاخير منها يثقبونها ثقوبًا يسدّها الموسيقيّ برؤوس انامله عند النفخ فيها ويفتح منها ما يحتاج اليه في عمله . وهذه الثقوب غالبًا يحكمون وضعها لان تكون ابراجًا صحيحة واذا أحتيج الى ربع ما فعنـد النفخ يُفتح جزء من الثقب المحمول للبرج الكائن فوق ذلك الربع . ولارباب هذه الصناعة احتيالات في استخراج بعض الابراج والارباع التي يحتاجون اليها بان يسدّوا بعض الثقوب ويفتحوا بعضها فتخرج ابراجٌ وارباعٌ لم يكن لها في الآلات من ثقبٌ مخصوص (١ وامّا الاخير منها وهو الجناح فهـذا يضعونهُ من انابيب منظومة في جامعةٍ تجسّ على افواه تلك الانابيب التي يكون عمق قعرها متفاوتًا لكي يكون صوتها عند الصفير بهـا متفاوتًا كترتيب الابراج (٣ وقد صار هذا الشرح كافيًا لمثل هذا المختصر

« سور » ومعناها احتفال والثانية « ناي » اي مزمار . وكل هذه الآلات التي يأتي بذكرها صاحب الرسالة ما عدا الارغن هي من الجنس المعروف عند عامّة بلادنا بالكرنَيتة والمِنجَيرة (clarinette, hautbois, musette...) لا من جنس الشبَّابة (اي flûte) . واختلافهما بان فمَ الآلة من الصنف الاول كائن في غاية رأسها ويُنفَخ فيها من فوق . اما الصنف الثاني ففمها عبارة عن ثقب اكبر تُثقب على بعد معيَّن من رأس الآلة فالنفخ فيـهِ يكون من جنب الآلة . ومن المزامير المزدوجة الشائع استعمالها عند عامّة سوريّة ولبنان الارغول وهو ضخم طويل القصبتين والمسحورة وهي اصغر

١) الآنَ عندهم وسائل أُخرى متقنة وهي ان يفتحوا ثقوبًا يجعلون عليها مفاتيح ومن الثقوب ما يبقى مفتوحًا فيسدونهُ عند الحاجة وهو اقلّ عددًا . ومنها ما يكون مرتجًا فيفتحونهُ بواسطة المفاتيح لاستخراج الابراج والانصاف والارباع . وللزمار الكامل (grande flûte) اربعة عشر من تلك المفاتيح

٢) والجناح لا نعلم لهُ استعمالًا غير استعمال الصبيان لهُ يلعبون بهِ مبتهجين لسرعة تعقّب اصواتهِ الليّنة

٣) اجل ان صوت القانون من الاصوات المطربة في الغاية وبهِ كان داود يسكّن حمية شاول الثائرة الّا ان قانون داود كان كبيرًا يبلغ طولهُ قامة الرجل فلا يجسّهُ الموسيقيّ الّا مستويًا على الاقدام وهو المعروف عند العبرانيين بالنبل (nebel) وعند الفرنج بالهَرْب (harpe) . وقد حدّد الفارابي القانون وقال « انهُ من الآلات التي تستعمل فيها الاوتار مطلقة وهي التي يُجعل فيها لكل نغمة على حيالها وترٌ مفرد » . وهذه الآلات معروفة عند العرب بالمعازف وعند العجم بالجُنك وقد عُرّبت هذه اللفظة وجمعها جنوك وكلها من جنس الهرب يدعوها اللاتين (sambuca) . والقانون كثير الاستعمال في الممالك التركية يسمّيهِ العامّة « سَنطورًا » واستعمالهُ إمّا بان يُنقَر بشيء من ريش الحوت (baleine) او من الحديد المسنون يجعل في طرف السبابة

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

ولننقل ههنا كلمة عن مدينة شيكاغو اطلاعاً للقارئ على منزلتها من الفخامة يوم قدمها المسافر المجهول الذي مرَّ ذكرهُ

انَّ هذه المدينة مبنيَّة على ضفاف بحيرة ميشيغان ونظرًا لعظمتها تُلقَّب «بملكة الغرب» في الولايات المتحدة حتى انها لتنازع مدينة نيويرك في فخامتها واعتزازها. ومع ان سائر المدائن تفتخر كل واحدة بقدامة نشأتها ترى شيكاغو تباهي بنشأتها السريعة ولذلك يسميها الاركيُّون «مدينة الفُطر» اشارة الى انها نبتت وارتفعت بغتةً كما ينبت الفطر من الارض. ومع ذلك يزعم اهاليها انها أقدم مدينة ذكرها البيض المحتلُّون في امركة. نعم انها كانت في اول امرها مركزًا حقيرًا لكن هذا المركز الحقير ما لبث ان صار مستقرًّا للشعب الكثير الذي نشاهده اليوم

ففي عام ١٨٣٠ كان سكَّان شيكاغو عبارة عن مئات بضع رجل ولكن ما مضت ستُّون سنة على ذلك العهد حتى احتشد هناك مليون نفس بل ازيد من هذا العدد. وفي سنة ١٨٧١ حدث فيها حريق هائل فالتهمت النار ١٧,٥٠٠ بيت من منازلها ولكنها ما عتَّمت ان جدَّدت ما تخرَّب منها على نمط احسن واظرف من السابق. وفي سنة ١٨٩٣ أُنشئ فيها اعظم معرض شوهد للآن فاقبل الناس لمشاهدته مئات الوف من كل فجّ. وقد عُرضت فيه كل انواع الصنائع في بنايات فخيمة جدًّا ذات خمس عشرة او عشرين طبقة حتى كان الناظرون اليها يتخيَّلون انها تلمس السماء بارتفاعها ومع هذا كانت من الاتساع على جانب عظيم بحيث يمكن ان يدخلها دفعةً واحدة لا اقل من عشرين ألفًا من المتفرّجين

ويأتي الى شيكاغو كل يوم ١٧٥ الف مسافر تنقلهم اليها السكك الحديديَّة البالغة سبعة وعشرين سكَّة. وتحمل اليها ادارة البريد ١٠ آلاف طنّ من الرسائل

والوسطى من كلتا اليدين او بالضرب عليه بمقرعتين من المدن يُجرجها الموسيقي على الاوتار وربَّما ترامم يمسونهُ ايضاً باطراف اناملهم غيرَ انَّ هذا مختصّ بالقانون الكبير المارّ ذكره الشائع استعماله في بلاد اوربَّة. اما عدد اوتار القانون عند الاقدمين من العرب فهو ستَّة وعشرون وترًا ليكون عدد نغماته متساوية لنغمات العود الكامل ذي الخمسة الاوتار

والجرائد يوميًّا كما ان العربات العموميَّة التي تتحرك بالكهربائية او البخار تنقل نحو مليونين و يدخل مياهها في اليوم لا اقلّ من ستين سفينة او اكثر

وهي في الوقت نفسه مستقرّ الثروات العظيمة والافلاسات الكثيرة. وقد اصبحت هذه الامور من الشؤون الاعتياديَّة فلذلك قلَّ من ينظر اليها بعين الاهتمام. فهذا يرتقي وذاك يهبط ومن يهبط اليوم يقوم في الغد رجل آخر مقامهُ وتتوالى هذه المشاهد كل يوم دون ان يبالي بها احد

ولشيكاغو مكتب واسع الفناء لاستئجار المنازل يأتيهِ كلَّ يوم قوم عديد لهذا الشأن. وكان لمَّا فُتح في صباح احد الأيام هذا مكتب ان حضر اليه رجل. فسألهُ المأمور الواقف هناك عمَّا يريد فقال: اريد ان استأجر مخزنًا فهل لك ان تأتيني بما يلزم من الافادات

فتناول المأمور دفترًا كبيرًا ودفعهُ اليه قائلًا انك تجد فيه كلَّ ما تشتهي. ثم تركهُ واقبل على الاهتمام بالكتابة دون مبالاة بهِ فاخذ الرجل يقلب الدفتر بتمهل لعلهُ يرى ما يوافقهُ ولكن بالعكس فانهُ قرأ فيهِ اعلانات جمة عن مخازن كثيرة اجرة بعضها ١٠٠ الف دولار وغيرها ٥٠ الف دولار او ١٠ آلاف دولار. فحينئذٍ تأوَّه قائلًا: اني لا اجد في هذا الدفتر حاجتي لاني اريد مخزنًا تكون اجرتهُ خفيفة

فلمَّا سمعهُ المأمور قال لهُ اكشف الصفحة ١١٥٥ فكشفها الرجل فرأى اجور مخازن اخرى لا تقلّ عن الف دولار فنادى المأمور قائلًا: ارجوك ان تدلَّني على اجور اخفَّ من هذه ايضًا فما انا ممَّن يستطيعون ان يدفعوا مثل هذه المبالغ الكبيرة

فتأفَّف المأمور من طلبهِ ومع ذلك تناول دفترًا آخر ودفعهُ اليه قائلًا: فتّش فيهِ تجد مطلوبك. فما كاد المذكور يفتحهُ حتى رأى اعلانًا عن مخزن اجرتهُ مئة دولار فقال: قد وجدت مطلوبي. واراهُ للمأمور فاوعز اليهِ ان يعود اليهِ في الغد. ثم ان الرجل خرج في سبيلهِ واخذ المأمور الدفتر واقفلهُ ووضعهُ في محلّهِ فعاد الغريب في اليوم التالي ودفع المئة دولار وسجّل اسمهُ في الدفتر « بيترس لاضف » ومضى في سبيلهِ

الفصل الثاني

في قاعة اللعب

لمَّا كان منتصف الليل من بعض أيَّام نيسان كنت ترى في غرفة كبرى من الطابق

السفلي في احد المنازل الرحبة من شيكاغو قوماً اجتمعوا للمقامرة وكانوا وقتئذٍ جلوساً حول مائدة مغطاة بطنفسة خضراء تتدحرج عليها الليرات والريالات. وكان رئيس اللعب يقول بين كل خمس دقائق « ضعوا يا خواجات رهونكم » فتنهال الدراهم من الايدي على المحل المخصوص المرسوم بالالوان فيقول الرئيس « كملت رهونكم وأُغلق البنك». ثم أنهُ يأخذ كرة فيدحرجها بقوة على مائدة من العاج فتركض مسرعةً وتحدق بها الابصار شاخصةً حتى اذا تراخت حركتها ظهرت علائم الاضطراب على الوجوه وخاف كل احد من وقوفها حيث يكون من الخاسرين. امَّا الكرة فبعد ان تتنقَّل ببطء من نقرةٍ الى اخرى تستقرّ اخيرًا حيث تنقطع حركتها وحينئذٍ تسودُّ وجوهٌ وتبيض وجوه ويجمع رئيس اللعب كل ما على المائدة من الريالات وبعد ان يضع منها في الصندوق ما يعود عليه يعطي الرابحين رهونهم ضعفين او ثلاثة حسب الشروط. ولا يمضي على ذلك خمس دقائق حتى يُستأنف اللعب ويعود الرئيس لتكرار هتافه السابق باللاعبين قائلًا « ضعوا رهونكم »

وكان في جملة اللاعبين على المائدة الثالثة رجل معتدل القامة اصفر اللون برَّاق العينين ومع توالي الخسارة عليهِ لم يكفَّ عن اللعب بل كان يكابر دائمًا وكلَّما خسر من القراطيس ورقةً وضع مكانها ورقةً اعلى منها قيمةً وما زال كذلك حتى جرى بينهُ وبين أحد اللاعبين الحديث الآتي:

يا خواجا ان المنازل الحمراء هي لي

— كلّا يا خواجا فاني وضعت دراهمي قبلك

— لا بل انا سبقتك

— كل هؤلاء شهود

— شهود على انك تريد سرقتي

— لقد اهنتني

— بل انت الذي . . .

وما كاد ينطق بهذا حتى انقضَّ على خصمه كالباشق على فريسته . وما كان الّا كلمح البصر حتى بادر رجل من الشُّرط وأمرها باسم الحكومة بالكفّ عن الخصام. أما المسافر الذي كان قد تحمَّل الخسائر الكبيرة منذ اول السهرة فاجاب قائلًا:

هذه بطاقتي للبراز

– وهذه بطاقتي ايضًا

– اسمي بيترس لاضف وصنعتي المتاجرة بالحبوب

– واسمي بروسبر اولري

– اولري من ذوي قرابة المستر جون اولري ؟

– ابن اخيه . ثمَّ تفرَّس في خصمه قائلًا : أَوَ تعرفهُ . فقال بيترس لاضف بجهمة : كلَّا لا اعرفهُ . قال ذلك وخرج من قاعة اللعب ثمَّ توارى بسرعة البرق

ولمَّا حضر الشهود في صباح اليوم التالي الى محل بيترس لاضف شاهدوا في مكتبه اختلاطًا واضطرابًا عظيمين لانهُ لما لم يكن قد عاد الى البيت اتى اهلهُ الى المكتب ليروا هل هو هناك . وكان قد خرج المذكور في مساء اليوم السابق وفي صباح اليوم وجدت غرفتهُ مفتوحةً وخزائنهُ مفتَّحة واوراقهُ ملقاة على المائدة بلا ترتيب ولا نظام أمَّا هو فلم يوجد فيها . فتبادر الظنّ الى انَّ لصًّا دخل الحجرة لسرقة ما فيها

ثمَّ انهم انتظروا رجوع لاضف المذكور ولكن ذهب الانتظار باطلًا وبحثوا عنهُ كثيرًا فلم يُجدهم البحث نفعًا . فأخذ النَّاس يتأوَّلون تواريَهُ تأويلات مختلفة وظنَّ بعضهم انَّ خسائرهُ في البورس دفعتهُ الى الاختفاء . ولكن ما لبث ان ظهرت الحقيقة وبان ان الرجل أفلس لانهُ خسر مبالغ عظيمة في اللعب فحمل صندوقهُ وأوراقهُ وسافر دون ان يتمّ مبارزة المستر اولري . وفي اليوم التالي انتشر في كل الجرائد خبر هرب المذكور وافلاسه

وان قيل من هو بيترس لاضف هذا الذي تشاغل الناس بمسألته في شيكاغو ورنَّ صدى اسمه في كلّ محافلها ومجالسها . قلنا انهُ كان من أغنى تجَّار الحبوب في المدينة . وكان في اول امرهِ متوسط الثروة لكنَّهُ ربح أرباحًا عظيمة في احتكار القمح فوصل الى درجة عظيمة من الثروة واليسار . وقد تعلَّق من يوم وجودهِ في شيكاغو بلعب القمار وكان يخاطر فيه اي مخاطرة

وقد اخذ الناس عند اعتلان خبر افلاسه يتساءلون عن موطنهِ وعائلتهِ فلم يكن منهم مَن يعرف ذلك ولا عجب فانَّ شيكاغو مدينة عظيمة قلَّما يستفهم فيها رجل عن آخر

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الدليل الى مرادف العامّي والدخيل

تأليف الشابّ الاديب رشيد افندي عطية اللبناني
طُبع في بيروت سنة ١٨٩٩ . عدد صفحاته ٣٦٣

يسرّنا ما نرى في بعض شبّان بلادنا من النشاط والهمّة في درس اللغة العربيّة وتمحص فوائدها بنار الرويّة والبحث عن غثّها وسمينها وصريحها وهجينها . ومن جملة الكتب النافعة التي نُشرت حديثًا بهذا المعنى وتستحقّ ذكرًا خصوصيًا كتاب « الدليل الى مرادف العامّي والدخيل » ضمّنهُ صاحبهُ اللوذعي مفردات جمة انتقاها من اقوال العامّة فرتّبها على حروف المعجم وازال ما وجدهُ فيها من المبهم . وذلك انهُ بيّن اشتقاقها من اللغات الاعجمية وما يرادفها من الالفاظ الفصيحة في العربيّة وقد أَلحق كلّ لفظة بملاحظاته التي تنبئ بحسن ذوق المؤلف وكثرة مطالعاته

هذا ولمّا كان صاحب هذا الكتاب ممّن لا يستنكفون من الانتقاد بل يعدّ حالهُ (ص ٣٤١) : « غريق افضال من يتكرّم عليه بشيء من الملاحظات » احببنا ان نعرض عليهِ ما سنح لنا من الخواطر علّهُ يستفيد منها لتحسين كتابهِ

اوّلًا لا نرى سببًا كافيًا لاستبدال بعض الالفاظ التي مع كونها في الاصل دخيلة أَضحت اليوم مأنوسة الاستعمال وصار فصيحها مستهجنًا مستغربًا . فمن يا ترى يستعمل الصُّلبوب او الزّنجر بدلًا عن الأُرغن او المزمار (ص ٢٩) . والنصبة بدلًا عن الايقونة . والعالة بدلًا عن الشمسيَّة (ص ١٩٢) . او ليس (ص ٣٨) البحري افصح من النوتي وهي كلمة اعجميَّة . ولا مشاحَّة من استعمال المأتم (ص ٢١) بمعنى المناحة

ثانيًا كان الاولى ان يكتب المؤلف بعد كلّ كلمة اصلها الاعجمي بحرفهِ كما صنع في بعض الالفاظ لئلّا تشتبه على الدارسين . ثمّ في تعيين الاصول الاوربيَّة اغلاطًا ننبها الى الطّابعين مثل (ص ٢٢) « Armoier » بدلًا عن " Armorier " و (ص ٢٥٧) « fishu » يريد « fichu »

ثالثًا ان الفاظًا كثيرة يعدّها المؤلف دخيلة وليست هي سوى الالفاظ الفصيحة افسدها العامّة وصحّفوها كالامي (ص ٢٧) تصحيف « قين » من اللاتينيَّة (Caminus)

ومثل (ص ٢٥) «التمّ» تصحيف «التأم» ومثل «أسًا او اسع» (ص ٢٤) تصحيف «هذه الساعة» و«كلّة» (ص ٢٧٦) تصحيف «جلة». ومثل هذا كثير في اللغة العامية

رابعًا قد وهم المؤلف في تعيين اصل الفاظ كثيرة لو اردنا سرد جدولها لأدى بنا الى الاطالة المملّة. والظاهر ان المؤلف لا يعرف من اللغات الاوربية سوى الفرنسية فانهُ كثيرًا ما ينسب الى لغة ما يصدق على اخواتها. وربّما نسب الى اللاتينيَّة ما يصح فقط عن الفرنسيَّة او الايطاليَّة او الانكليزيَّة. فان «اكبرس» مثلًا (ص ٢٥) انكليزيّة بمعنى القطار المجدّ في السير. و«بنيي» (ص ٣١) اسبانيَّة او ايطاليَّة. و«اوريجنال» (ص ٢٩) افرنسيَّة بمعنى الرجل المتفرّد باعماله. وكذا قل عن «بوسطة» و«بنضول» و«بلكون» و«فرقاطة». امّا «فسقيّة» (ص ٢٥٤) وطابية (ص ٢٢٢) فهما من اللاتينيَّة «piscina» و«turbo»

وقد ورد في مجلة المشرق مقالات لغويَّة بيَّن فيها مؤلفوها اصل عدَّة الفاظ لو راجعها صاحب كتاب الدليل لاستفاد منها كما استفاد من مجلّة الضياء. وامكنهُ ان يُصلح اغلاطًا منها قولهُ في «الشرطي» راجع المشرق (١: ٤٤٧) وفي «العربة» (١: ٨٣٠). كما انّنا نشير عليه بمراجعة مقالة المشرق في الالفاظ المنحوتة (١: ١٠٢٧) لتتمّة قوله عنها (ص ١٥)

هذا ونضرب صفحًا عن اغلاط وردت في اثناء شروح المؤلف لا يسعنا هنا تعدادها كقوله مثلًا (ص ٩) «انَّ العربيَّة قبل الاسلام تشعَّبت الى لغتين اصليتين وهما لغة قريش ولغة حمير» والصحيح ان لغة حمير اخت العربيَّة ليست مشتقَّة منها ولعلّها اقدم منها. ونختم كلامنا بالثناء على محاسن الكتاب رغمًا عن بعض شوائبهِ «لانَّ الانسان موضع النسيان وما العصمة الَّا لله خالق الاكوان» (ص ٣٤٠) ه. ل

تاريخ انكلترَّة

تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

كان منشئ الهلال الاديب نشر في مجلّته الشهيرة فصولًا حسنة من تاريخ انكلترَّة فرأى ان يجمعها في كتاب مستقلّ تعميمًا للفائدة فطبع منهُ الجزء الاوّل وهو عبارة عن ٨٤ صفحة تشتمل على اخبار الدولة الانكليزيَّة منذ نشأتها الى انقضاء الدولة اليوركيَّة سنة ١٤٧٥. وقد زيَّن الكتاب بصور مشاهير الملوك ومن محسّناتهِ انَّ كلَّ

فصل يُختم بجداول مفيدة. وكنَّا وددنا لو تحاشى المؤلف بعض اقوال تشعر ببخس حقوق الكنيسة الكاثوليكية واتباعها ولعلَّهُ نقلها دون تروٍ كافٍ عن تآليفات بروتستانيَّة

كتاب المعين

من تأليف المعلّم الفاضل واللغوي البارع سعيد افندي الشرتوني

الجزء الاوَّل. كتاب التلميذ. عدد صفحاتهِ ١١٣. طُبع في بعبدا سنة ١٨٩٩

انَّنا نغبط احداث مدارسنا لما توفَّر لديهم في هذه السنين الاخيرة من اسباب الترقّي في العلوم العربيَّة وآدابها وكنَّا قبل ثلاثين سنة نتمنَّى لو نحصل على النزر القليل منها. ومع وفرة هذه التآليف المستحدثة كانت مدارسنا في حاجة الى تمرينات انشائيَّة يتروض بها الطلبة ليحرزوا ملكة الكتابة. فهي الثُلمة التي حاول سدَّها صاحب كتابِ المعين فاستعان لوضعهِ بخبرتهِ الطويلة في التدريس ومزاولة الكتابة واودعهُ نيفًا ومائتي تمرين يمكن التلميذ ان يُجري في مضمارها قلمهُ فيألف بطريقة سهلة صناعة الانشاء. ولنا الثقة انَّ رؤساء المدارس سيتلقّون هذا الكتاب بالترحاب ويقبل عليهِ الاساتذة فيدرجونه في مكاتبهم لاسيما اذا ما امدَّهم مصنّفهُ الفاضل بالكتاب الخاصّ بالمعلّم فيغنيهم عن ايجاد مواضيع انشائيَّة يقترحونها على تلامذتهم وعن امثلة يعرضونها عليهم لاصلاح اغلاطهم وتخريجهم في الكتابة ل. ش

شَذَرَاتٌ

المجلَّة والمنار — قد بلَغتنا الحكومة السنيَّة أنَّها استاءت ممَّا كتبتهُ المجلَّة في عددها الاخير. فمن ثمَّ لا حاجة الى الردّ عليها. امَّا المنار فاننا نكتفي بما اجبناه سابقًا

حلّ المشكلين الرياضيين الواردين في العدد الماضي — قد حلَّ هذين المشكلين او واحدًا منهما بعض قرَّاء المشرق نورد هنا اسماءهم الكريمة على ترتيب التاريخ: شكري حوَّا. من ادباء البلدة. اسكندر ابراهيم طراد. توفيق الحاج من طلبة كليَّتنا. الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة. يوسف عيسى القدسي احد تلامذة الآباء الفرنسيسين في القدس. والاخ مبارك ابو سليمان من تلامذة كليَّتنا. وهاك الجواب كما ذكرهُ حضرة الاب مرهج وهو واضحٌ جليٌّ اكتفينا بهِ:

(الجواب عن الاول): ان هذه المسألة قريبة الشبه جدًّا من المسألة الاخيرة

المدرجة في العدد الثامن صفحة ٣٨٢ وتصحّ على كل عدد يقسم على اثنين فيبقى واحد وعلى ثلاثة فيبقى اثنان وعلى اربعة فيبقى ثلاثة وعلى ستة فيبقى خمسة وعلى خمسة او سبعة فلا يبقى شيء.. الّا انهُ يظهر من المبادئ الاوليَّة في الرياضيات انهُ متى تحقّق شرط القسمة على ٤ في هذه المسألة تحقق ايضاً شرط القسمة على اثنين ومتى تحقق فيها على ٦ تحقّق على ٣ وبما ان ٥ و ٧ هما اوليان فالعدد المطلوب يقسم دون باقٍ على حاصلهما ٣٥ ايضاً فيكفي اذاً حل المسألة طبقاً لثلاثة شروط من ستة وهي:

(١) ك = ٤ د + ٣ والحرف ك دلالة على الحبوب و د على الصحيح من الخارج

(٢) ك = ٦ دَ + ٥ والحرف دَ دلالة على الصحيح من خارج ك على ٦

(٣) ك = ٣٥ دً والحرف دً دلالة على خارج ك على ٣٥

فالمسألة سيألة اذا حللناها طبق القواعد المعهودة في مثلها يكون لنا:

(٤) ٤ د + ٣ = ٦ دَ + ٥ وحسب القواعد المتعارفة نجد:

(٥) د = ٣ ل − ١ الحرف ل دلالة على عدد صحيح غير معيَّن

(٦) دَ = ٢ ل − ١ 〃 〃 〃 〃 〃 وبالتعويض نجد:

(٧) ك = ١٢ ل − ١ تحقيقاً للشرطين الاولين ولتحقيق الثالث يجب ان يكون:

(٨) ٣٥ دً = ١٢ ل − ١ وبالحل طبق القواعد نجد:

(٩) دً = ١٢ م + ١ تحقيقاً للشروط والحرف م دلالة على عدد صحيح غير معيَّن

(١٠) ل = ٣٥ م + ٣ وبالتعويض عن دً في (٣) بعبارتها في (٩) نجد.

(١١) ك = ٣٥ (١٢ م + ١) = ٤٢٠ م + ٣٥ يمكننا ان نفرض للكميَّة م اي عدد صحيح ايجابي اردنا من الصفر الى ما لا نهاية لهُ. اذا فرضنا م = ٠ , ١ , ٢ , ٣ , ٤ , ٥ الخ يكون ك اي عدد الحبوب = ٣٥ , ٤٥٥ , ٨٧٥ , ١٢٩٥ الخ

(الجواب على الثاني): نستنتج بديهاً من شروط المسألة ما يأتي من المعادلات:

(١) : ك + ل + م + ن = ١٢٠ والحروف ك ل م ن عبارة عن اجرة كلٍّ من الاربعة في اليوم. (٢) : ك = ٢ ل. (٣) : ل = ٢/٣ م. (٤) : م = ٢ ن

ومن ذلك نستنتج بالتعويض معاملة واحدة نهايتها بالنسبة الى ك على ما يأتي:

(٥) : ك + ١/٢ ك + ١/٣ ك + ١/٦ ك = ٢ ك = ١٢٠

(٦) : ك = ١٢٠/٢ = ٦٠ . اذاً : ل = ٣٠ , م = ٢٠ , ن = ١٠

فاجرة الاول في اربعة ايام	٢٤٠	٦٠	٩٠	١١٠	١٣٠
« الثاني « « «	١٢٠	١٨٠	٩٠	١١٠	١٢٠
« الثالث « « «	٠٨٠	١٤٠	١٧٠	١١٠	١٢٠
« الرابع « « «	٠٤٠	١٠٠	١٣٠	١٥٠	١٢٠

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض قرَّائنا الكرام أنعدُّ من الاغلاط كلَّ ما خطَّأتهُ مجلَّة الضياء الغرَّاء في اثناء كلامها عن لغة الجرائد

لغة الجرائد

ج للمشرق مقالةٌ في هذا المعنى ندرجها ان شاء الله في عدد قادم

س سألنا حضرة الخوري بولس زخيا: ١ً هل يُشترط لصحة الاشتراك في ثوب الحبل بلا دنس وربح الغفرانات الممنوحة لهُ تدوين اسم المشترك او هل يقتضي ارسالهُ الى مركز الشركة. ٢ً هل يكتسب الكاثوليكي الشرقي الغفرانات الممنوحة في بعض الاعياد يوم تحتفل بها الكنيسة الغربيَّة او كنيستهُ الشرقيَّة

الاشتراك في ثوب الحبل بلا دنس

ج نجيب على الاول ان المشترك في ثوب الحبل بلا دنس كان يمكنهُ سابقاً ان يربح الغفرانات بمجرَّد اشتراكهِ على يد كاهن مأذون من رئيس عام رهبانيَّة الثياتيين ولا يحتاج الى تدوين اسمهِ ولكن قد اضحت اليوم هذه الشركة اخويَّةً وعليهِ فلا بدَّ من تدوين اسماء الاخوة وارسالها الى مركز الشركة. الى الرئيس السابق ذكرهُ

يوم ربح الغفرانات

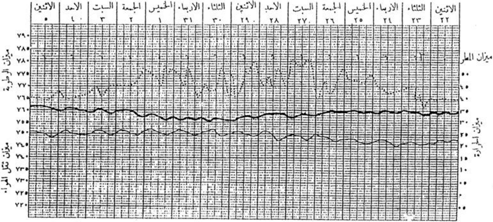
ج نجيب على الثاني انَّ الغفرانات تُربح في ايام الاعياد حسب كلندار الكنيسة الغربيَّة ما لم تصرّح جمعية الغفرانات الرومانيَّة انَّهُ يجوز نقلها الى يوم آخر

س سألنا احد تلامذة مدرسة اليونان في رومية عن فنّ بناء الكنائس في الشرق هل كان مختلفاً سابقاً عن الكنائس الغربية

بناء الكنائس الشرقيَّة

ج قد اختلف فنّ بناء الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة في كلّ الاعصار اختلافاً عظيماً وعليه فلا يمكن الجواب عن سؤالٍ كهذا ما لم يُحصر في زمن مخصوص وبلد معيَّن. ولا بُدَّ لذلك من مطالعة كتب الهندسة الكنسيَّة المطوَّلة ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٢٢ أيار الى ٥ حزيران ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (---) على ميزان الحرارة (ترمومتر
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد
المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات